النِّزاع والصِّراع الزَّيدي الزَّيدي

دراسة وصفيَّة تحليليَّة

دراسة

النِّزاع والصِّراع الزَّيدي الزَّيدي

دراسة وصفيَّة تحليليَّة

د. عبد الحميد أحمد مرشد

النِّزاع والصِّراع الزَّيدي الزَّيدي

دراسة وصفيَّة تحليليَّة

د. عبد الحميد أحمد مرشد

القيـــــــاس : 14 X 20 سم
عـدد الصفحات : 96 ص
ISBN: 978-000-0000-00-0

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

جميع الحقوق محفوظة

الجمهورية اليمنية – محافظة تعز - +967715605560
تركيـــا - إسـطنبـول - برج إسطنبول - +905318883336
الموقـــع الإلكتـــرونـــي: www.mokhacenter.org
البـــريـــد الإلكتـــرونـــي: info@mokhacenter.org
@MOKHACENTER

المخا للدراسات الاستراتيجية
MOKHA for strategic studies

Baskı Cilt: baskı Yılmaz Basımevi (Mat. Sert. Nu: 49749), kapak baskısı Salkım Ofset'te gerçekleştirildi

مُقَدِّمَة

هذه الدِّراسة تسلِّط الضَّوء على ظاهرة النِّزاع والصِّراع في الوسط الزَّيدي كمظهر مِن المظاهر الَّتي سادت مرحلة ما بعد قيام الجمهوريَّة اليمنيَّة، ما بين ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م وحتَّى عام ٢٠١١م قبيل ثورة ١١ فبراير، لتقف على بواعثها وأسبابها، وصورها ومظاهرها، وأطرافها، وأبعادها، ونتائجها وآثارها، وطبيعة القواعد والأطر الحاكمة لها.

إنَّ الحكم على الشَّيء فرع عن تصوره، والخلافات البينيَّة داخل الفرق والطَّوائف والكيانات سنَّة اجتماعيَّة، وعادة غالبة، جرت بها الأقدار، وتناولتها الأقلام، وهي تقدِّم مؤشِّرًا على مدى قوَّة الفكرة، وتماسك مجتمعها، أو وهنها وتفكُّك وهشاشة مجتمعها.

مشكلة الدِّراسة:

تجيب الدِّراسة عن تساؤل رئيسٍ يتعلَّق بالمجتمع الزَّيدي، ألا وهو: إلى أيِّ مدى يمثِّل النِّزاع والصِّراع الدَّاخلي في التَّيَّار الزَّيدي ظاهرة اجتماعيَّة وسياسيَّة؟ ويتفرَّع عن هذا التَّساؤل أسئلة عدَّة، هي:

١) ما هي جذور النِّزاع والصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي؟

٢) وما هي صور ومظاهر ذلك النِّزاع والصِّراع عقب ثورة ٢٦ سبتمبر؟

٣) وما هي أبرز محطَّات هذا النِّزاع والصِّراع وأطرافه خلال الفترة (١٩٦٢م- ٢٠١١م)؟

٤) وما هي أسباب وبواعث النِّزاع والصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي؟

٥) وما هي الأبعاد والسِّياقات المحليَّة والإقليميَّة الَّتي ظهر فيها النِّزاع والصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي خلال تلك الحقبة؟

٦) ما هي آثار ونتائج هذا النِّزاع والصِّراع على البيئة الزَّيديَّة والمجتمع اليمني؟

أهداف الدِّراسة:

تسعى هذه الدِّراسة إلى تحقيق جملة مِن الأهداف، أبرزها:

١) رصد ظاهرة النِّزاع الزَّيدي- الزَّيدي في اليمن، خلال الفترة مِن (١٩٦٢م-٢٠١٠م)، وتتبُّع جذوره ومساراته وتطوُّراته وأشكاله وأطرافه.

٢) تحليل ظاهرة النِّزاع الزَّيدي- الزَّيدي في اليمن، ومعرفة العوامل والأسباب والأبعاد والسِّياقات المتصلة به.

٣) التَّعريف بنتائج وآثار ظاهرة النَّزاع الزَّيدي- الزَّيدي على الوسط الزَّيدي والمجتمع اليمني عمومًا.

٤) استشراف مآلات النَّزاع الزَّيدي- الزَّيدي على المشهد الحالي انطلاقًا مِن معطيات مرحلة الدِّراسة.

٥) تغيير الصُّورة النَّمطيَّة الموجودة في أذهان البعض مِن أنَّ الزَّيديَّة رؤية ومسار واحد عبر تاريخها، وأنَّ هذا ما مكَّنها مِن حكم اليمن في أكثر مِن حقبة.

أهميَّة الدِّراسة:

تكمن أهميَّة الدِّراسة في الآتي:

١) أهميَّة الموضوع لارتباطه بواقع اليمن القائم، إذ أنَّ جماعة الحوثي الَّتي تتصدَّر المشهد الزَّيدي برؤيتها الخاصَّة اليوم هي نتاج هذه النَّزاعات ووليدة لها؛ وبالتَّالي فالموضوع يحتلُّ مكانة في اهتمامات اليمنيّين لطبيعة المرحلة، وما يجري فيها مِن أحداث.

٢) أهداف الدِّراسة المذكورة سابقًا، والأسئلة الَّتي ستجيب عنها.

٣) الثَّمرة العمليَّة الَّتي يمكن الخروج بها مِن نتائج هذه الدِّراسة على واقع الصِّراع اليوم.

٤) القيمة الموضوعيَّة الَّتي ستضيفها الدِّراسة لهذا العنوان، مِن خلال عرض أبعاد فكريَّة وسياسيَّة واجتماعيَّة واقتصاديَّة.

منهج الدِّراسة:

سوف تعتمد الدِّراسة المنهج الوصفي والتَّحليلي، كمنهجين رئيسيّين يقوم الباحث فيهما باستعراض الوقائع والأحداث في النِّزاع والصِّراع الزَّيدي - الزَّيدي استعراضًا مفصلًا، خلال الفترة الَّتي تستهدفها

الدِّراسة (١٩٦٢م- ٢٠١٠م)، مع استخدام المنهج الاستقرائي في جمع الشَّواهد والحقائق الدَّالة على طبيعة الظَّاهرة وتشكُّلاتها، ولتحليل أبعادها المختلفة تحليلًا علميًّا، بحياديَّة تامَّة، ووفقًا لأساسيَّات التَّحليل المتَّبعة.

فرضيَّة الدِّراسة:

يتوقَّع في نهاية هذه الدِّراسة إثبات الفرضيَّات التَّالية:

١) النِّزاع والصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي ظاهرة اجتماعيَّة وسياسيَّة تاريخيَّة في البيئة الزَّيديَّة، إذ أنَّ لها بواعث اجتماعيَّة وسياسيَّة وفكريَّة.

٢) النِّزاع والصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي كما أنَّها حقيقة تاريخيَّة فهي ظاهرة حاضرة في الوسط الزَّيدي منذ عام ١٩٦٢م، وسوف تستمرُّ مع امتداد الظَّاهرة الزَّيديَّة ذاتها.

٣) أنَّ النِّزاع والصِّراع لم يكن على جوهر الفكرة السِّياسيَّة الزَّيديَّة ولكن على تطبيقاتها.

٤) يرتبط الصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي بالنِّزاعات الشَّخصيَّة والتَّنافسات البينيَّة على المناصب والمكاسب.

٥) هذا النِّزاع والصِّراع أثَّر ويؤثِّر على المجتمع اليمني في نواحي الحياة المختلفة.

هيكل الدِّراسة:

تتكوَّن خطَّة الدِّراسة مِن أربعة مباحث:

المبحث الأوَّل: جذور النِّزاع والصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي، ومظاهره، وأسبابه، وفيه مطالب:

المطلب الأوَّل: جذور النِّزاع والصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي عبر التَّاريخ في الجغرافيا اليمنيَّة.

المطلب الثَّاني: مظاهر وصور النِّزاع والصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي خلال الفترة (١٩٦٢م- ٢٠١٠م).

المطلب الثَّالث: أسباب وعوامل النِّزاع والصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي خلال الفترة (١٩٦٢م- ٢٠١٠م).

المبحث الثَّاني: الأبعاد والسِّياقات للتَّنازع والصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي خلال الفترة (١٩٦٢م- ٢٠١٠م):

المطلب الأوَّل: قيام الجمهوريَّة: الانعزال والانخراط والاختراق.

المطلب الثَّاني: قيام الوحدة: البوتقة التَّقليديَّة والتَّحوُّر الحزبي والانعتاق الحركي.

المطلب الثَّالث: قيام الثَّورة الخمينيَّة الإيرانيَّة.

المطلب الرَّابع: انتشار المد الإسلامي السُّنِّي في اليمن.

المطلب الخامس: انتشار الأفكار القوميَّة والعلمانيَّة وموقف الأطراف الزَّيديَّة مِنها، وتأثيرها في النِّزاع والصِّراع.

المبحث الثَّالث: النَّتائج والآثار الدَّاخليَّة والخارجيَّة للتَّنازع والصِّراع الزَّيدي الزَّيدي، وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: النَّتائج الفكريَّة، والحركيَّة، والسِّياسيَّة، على صعيد الدَّاخل الزَّيدي.

المطلب الثَّاني: الآثار الفكريَّة، والسِّياسيَّة، والاجتماعيَّة، على صعيد المجتمع المحيط.

المبحث الرَّابع: القواعد والمراجع الحاكمة للتَّنازع الزَّيدي- الزَّيدي، وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: القواعد والثَّوابت الفكريَّة.

المطلب الثَّاني: المراجع المذهبيَّة والاجتماعيَّة.

الخاتمة: وتحتوي على خلاصة للدِّراسة والنَّتائج والتَّوصيات.

المبحث الأوَّل

جذور النِّزاع والصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي، ومظاهره، وأسبابه:

يتناول هذا المبحث جذور النِّزاع والصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي الممتدِّ عبر التَّاريخ، منذ دخول يحيى بن الحسين، المنتسب إلى الإمام علي بن أبي طالب -رضي الله عنه، والَّذي قام بتأسيس دولته الخاصَّة في صنعاء وشمالي اليمن عام ٢٨٦هـ، على المذهب الزَّيدي، وتلقَّب بالإمام «الهادي»، وتمكَّن من فرض مذهبه ودولته حتَّى توفِّي عام ٢٩٧هـ، وحتَّى عام ٢٠١٠م؛ وعلى امتداد الجغرافيا اليمنيَّة الَّتي وجد فيها المذهب الزَّيدي ودولته.

إنَّ معرفة هذه الجذور التَّاريخيَّة تقدِّم طبيعة هذا النِّزاع والصِّراع في عمقه الذَّاتي حيث ظلَّت المؤثِّرات الدَّاخليَّة والذَّاتيَّة هي العامل الأكبر والأبرز والأقوى، فالأفكار والرُّؤى والمذاهب تعكس آثارها بالضَّرورة على السِّجل التَّاريخي للجماعات والفرق في ملامح مستدامة وظاهرة.

وسوف يكون الحديث عن جذور النِّزاع الزَّيدي- الزَّيدي في مرحلتين:

الأولى: حتَّى عام ١٩٦٢م،

الثَّانية: بين عامي ١٩٦٢م و٢٠١٠م.

النِّزاع والصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي حتَّى عام ١٩٦٢م:

يقوم الفكر السِّياسي الزَّيدي على أربع مبادئ: الأوَّل: أنَّ الإمامة أصل مِن أصول الدِّين، والثَّاني أنَّها حقٌّ خاصٌّ بالسُّلالة العلويَّة مِن البطنين، أي مِن نسل الحسن والحسين [١]، والثَّالث أنَّ يدعو الإمام إلى نفسه[٢]، والرَّابع أنَّ مِن الواجب حال ظهور المنكر في الحاكم أو مِنه إنكاره عليه، والخروج عليه بالسَّيف[٣]؛ وهو ما دفع المنتسبين للسُّلالة العلويَّة مِن البطنين للتَّطلُّع للسُّلطة وتزعُّم ثورات عدَّة ضدَّ مَن يرونهم حكَّام جور وظلم، متأوِّلين لأنفسهم التَّصدُّر في طلب السُّلطة وحمل السِّلاح إنكارًا للمنكر.

---

(١) للفائدة انظر: محمد يحيى سالم عزان، قراءة في نظرية الإمامة عند الزيدية، مجلة المسار، العدد (٩)، في: ٢٠٠٢/٩/٦م، متوفر على الرابط التالي:

https://shortest.link/2Bke

ونظرات في ملامح المذهب الزيدي وخصائصه، محمد عبدالله عوض، مكتبة أهل البيت، صعدة- اليمن، (بدون طبعة أو تاريخ): ص٨٧.

(٢) انظر: فصل في بيان ما ثبتت به إمامة الإمام متى لم يكن منصوصًا عليه مِن جهة الرسول، مِن كتاب: الزيدية للصاحب بن عباد، بتحقيق د. ناجي حسن، الدار العربية للموسوعات، بيروت- لبنان، ط١٩٨٦/١م: ص٢١٣

(٣) انظر: مسألة الخروج عند زيد بن على زين العابدين «الزَّيديَّة»: أسبابها وأنواعها في ضوء القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة، د. نورا معوض عباس، مجلة كلية التربية في العلوم الإنسانية والأدبية، جامعة عين شمس، مصر، المجلد (٢٦)، العدد (٣)، صيف ٢٠٢٠م: ص١٨٥-٢٢٣؛ متوفر على الرابط التالي:

https://jfehls.journals.ekb.eg/article_140262.html

هذا المنظور الزَّيدي أسَّس تاريخيًّا لحالة مِن النِّزاعات والصِّراعات ودوَّامات العنف المتطرِّفة، سواء بين الزَّيديَّة ومخالفيهم مِن خارج المذهب أو بين الزَّيديَّة أنفسهم.

كما أنَّ افتقاد النَّظريَّة السِّياسيَّة الزَّيديَّة لنصٍّ دستوريٍّ في المذهب الزَّيدي ينظِّم عمليَّة انتقال السُّلطة مِن حاكم لآخر، دون شيوع الخلاف الَّذي يؤدِّي عادة إلى سفك الدِّماء والفتن، وتهديد مبدأ النَّظريَّة عمومًا، جعل التَّاريخ الزَّيدي مليئًا بالمآسي والأحداث الدَّامية والخراب والدَّمار(٤).

وتعود جذور النِّزاع والصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي إلى بواكير دخول المذهب الزَّيدي إلى اليمن، مِن خلال توظيف السُّلطة السِّياسيَّة الزَّيديَّة للخطاب الدِّيني في تحقيق المكاسب السِّياسيَّة، واستخدام الفتاوى الدِّينيَّة، وتوظيف المرجعيَّات في تكفير المخالف، والإفتاء بإباحة دمه وماله؛ حتَّى لو كان المخالف مِن داخل المنظومة الزَّيديَّة.

وقد بدأت ملامح الصِّراع مبكِّرًا في عهد أولاد النَّاصر أحمد بن الهادي (ت: ٣٢٥هـ)، حيث تقاتلوا على الإمامة بعد أبيهم، حتَّى خربت

(٤) انظر: ما كتبه د. عبدالكريم أحمد جدبان، في مقدمته لتحقيق كتاب (مجموع رسائل الإمام الشهيد المهدي أحمد بن الحسين)، تحت عنوان: «خلل دستوري في نظريَّة الإمامة الزَّيديَّة»، طباعة مكتبة التُّراث الإسلامي، صعدة- اليمن، ٢٠٠٣م.

مدينة صعدة بسبب ذلك الصِّراع[٥]. واستمرَّ الصِّراع بعد ذلك بين الدَّاعي يوسف وبين الحسين بن القاسم العيَّاني بعد وفاة أبيه، وبين القاسم الزَّيدي، وكلٌّ يدَّعي الإمامة لنفسه[٦]. كما تكرَّر الصِّراع البيني على الإمامة في عهد الدَّاعي[٧] يوسف بن المنصور، الَّذي دعا إلى نفسه عام ٣٦٨هـ، فبايعه بعض فقهاء الزَّيديَّة، وعارضه بعضهم الآخر وبايعوا القاسم بن علي العياني[٨]، فقام القاسم العياني بشنِّ الحرب عليه، وعزله[٩].

ومن الأمثلة على هذا الصِّراع البيني ما قام به الحسين بن القاسم العياني (ت: ٤٠٤هـ) عندما هاجم صنعاء؛ حيث لم يعِد القبائل المهاجمة بأجر ولا رتب، وإنَّما وعدهم باستباحة أموال خصومه،

(٥) انظر: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، يحيى بن الحسين بن القاسم، تحقيق وتقديم: سعيد مصطفى عاشور، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، دار الكاتب العربي للطِّباعة والنَّشر، القاهرة- مصر، ١٩٦٨م: ص ٢١٥، ٢١٧.

(٦) انظر: تاريخ اليمن مِن كتاب كنز الأخبار في معرفة السِّير والأخبار، عماد الدِّين إدريس بن علي الحمزي، دراسة وتحقيق: عبدالمحسن مدعج المدعج، مؤسَّسة الشِّراع العربي، الكويت، ط١/١٩٩٢م: ص٧٠.

(٧) الدَّاعي: مصطلح زيدي يطلق على مَن تولَّى الإمامة ولم تكتمل فيه شروطها.

(٨) هو: يوسف بن المنصور يحيى بن النَّاصر أحمد بن الهادي يحيى بن الحسين الرَّسي، دعا لنفسه في عام ٣٦٨هـ، ولم تتوفَّر فيه شروط الإمامة الزَّيديَّة، فعارضه فقهاء مذهبه، وبايعوا القاسم بن علي العيَّاني. توفِّي عام ٤٠٣هـ. انظر: سمط النُّجوم العوالي في أنباء الأوائل والتَّوالي، عبدالملك بن حسين بن عبدالملك الشَّافعي العاصمي المكِّي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م: ج٤/١٩١.

(٩) انظر: اللَّطائف السَّنيَّة في أخبار الممالك اليمنيَّة، محمد بن إسماعيل الكبسي، تقديم: خالد أبا زيد الأذرعي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء- اليمن، ط١،٢٠٠٥م: ص٥٩.

وسبي نسائهم. وكان خصمه ابن عمِّه القاسم الزَّيدي[١٠]،[١١]، فدشَّن حكمه بالحرب مع ابن عمه، ثمَّ مع ولده محمَّد[١٢]، ثمَّ مع الحفيد زيد بن محمَّد بن القاسم الزَّيدي[١٣].

بل وصل الحال بالحسين بن القاسم العياني أن قتل أهل البون، وصلبهم منكَّسين، ووهب خيلهم وسلاحهم لأنصاره، ووهب قومًا مِنهم لآخرين على اعتبار أنَّهم سبايا، وألزمهم دفع الجزية، وأخذها مِنهم كما تؤخذ مِن اليهود والنَّصارى؛ رغم أنَّهم زيديَّة. وكان ذلك في عام ٤٠٣هـ[١٤].

(١٠) هو: القاسم بن الحسين بن محمد بن القاسم بن يحيى الزَّيدي. مِن سلالة زيد بن علي. جاء اليمن مِن الطَّائف. وعارض القاسم العيَّاني. توفِّي عام ٣٩٤هـ. انظر: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، مرجع سابق: ص٥٤.

(١١) انظر: مقدمة مجموع كتب ورسائل الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم العياني، تحقيق: إبراهيم الحمزي، عناية مجد الدِّين المؤيدي، مركز أهل البيت للدِّراسات الإسلاميَّة، صعدة، ط١/٢٠٠٤م: ج١/١٧، بتصرف.

(١٢) هو: محمد بن القاسم بن الحسين بن محمد بن القاسم بن يحيى الزَّيدي. مِن سلالة زيد بن علي. عارض الحسين بن القاسم العيَّاني؛ فقتله العيَّاني، ولم أعثر له على ترجمة وافية. انظر: بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمَن تولَّى مُلك اليمن مِن ملك وإمام، القاضي حسين بن أحمد العرشي، تحقيق: الأب أنستاس ماري الكرملي، مكتبة الثَّقافة الدِّينيَّة، القاهرة: ص٣٥.

(١٣) انظر: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، مرجع سابق: ص٢٣٧، وما بعدها.

(١٤) انظر: تاريخ اليمن من كتاب كنز الأخبار في معرفة السير والأخبار، مرجع سابق: ص٧٢؛ والفتاوى النَّبويَّة المفحصة عن أحكام المطرفية، لعبدالله بن زيد العنسي، منشور ضمن كتاب: الصراع الفكري في اليمن بين الزيدية والمطرفية.. دراسة ونصوص، لعبدالغني محمود عبدالعاطي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط١/٢٠٠٢م: ص٣٢٣؛ والرسالة الناطقة بضلال المطرفية الزنادقة، لعبدالله بن زيد العنسي، وهو منشور ضمن كتاب: الصراع الفكري في اليمن بين الزيدية والمطرفية: ص٢٨٨.

وتتابع مشروع النَّهب والدَّمار في عهد جعفر بن القاسم العيَّاني (ت: ٤٥١هـ)[١٥] في عام ٤١٤هـ، حيث توجَّه إلى صعدة فأمر بنهبها، وإحراق بعض دورها[١٦].

وكان ذلك حال أبي الفتح الدَّيلمي (ت: ٤٤٦هـ)[١٧]، القادم مِن بلاد فارس في عام ٤٣٧هـ، والَّذي دعا إلى نفسه بالإمامة، ودشَّن إمامته بالإغارة على صعدة، وقتل أهلها، وخرَّب دورها، وكرَّر ذلك الحال في بني الحارث في صنعاء وغيرها[١٨].

ومِن الشَّواهد التَّاريخيَّة لهذا الصَّراع: حملات التَّكفير والإبادة الجماعيَّة الَّتي تبنَّاها كلٌّ مِن: أحمد بن سليمان وعبدالله بن حمزة في حقِّ «المطرفيَّة»، وهم فرقة مِن الزَّيديَّة الهادويَّة، وذلك لمَّا اختلفوا

(١٥) هو: جعفر بن القاسم بن علي العيَّاني، وُلي صعدة بأمر أبيه، ووقع في أسر الصُّليحي، مات عام ٤٥٠هـ. ولم أعثر له على ترجمة كافية. انظر: العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن، وهو: طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن، لأبي الحسن علي بن الحسن الخزرجي، تحقيق: عبدالله قائد العبادي وآخرون، الجيل الجديد ناشرون، صنعاء- اليمن، ط١/٢٠٠٩م: ج٤/١٧١٣.

(١٦) غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، مرجع سابق: ص٢٤٢، بتصرف.

(١٧) هو: أبو الفتح النَّاصر بن الحسين بن محمَّد بن عيسى بن محمَّد بن عبدالله المعروف بالدَّيلمي، الحسني، جاء مِن إيران إلى صعدة في عام ٤٣٧هـ، وقُتِل عام ٤٤٤هـ، وقيل: ٤٤٦هـ. انظر: قرَّة العيون بأخبار اليمن الميمون، عبدالرحمن بن علي بن الدَّيبع، حقَّقه وعلَّق عليه: محمَّد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء- اليمن، ط١/٢٠٠٦م: ص٢٠٥.

(١٨) انظر: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، مرجع سابق: ص٢٤٦.

معهم. وظهرت في التَّاريخ مقابر جماعيَّة خاصَّة بالمطرفيَّة الَّذين أبادهم عبدالله بن حمزة، وأخوه يحيى بن حمزة[١٩].

وجوهر خلافهم مع أحمد بن سليمان أنَّهم كانوا يتشدَّدون في شروط الإمامة، ولم يروه مستوفيًا لها. وكان لهم رأي مخالف لمذهب الزَّيديَّة في حصر الإمامة في «البطنين»[٢٠]؛ حيث كانوا لا يقولون به، كما كانوا لا يرون أحمد بن سليمان إمامًا مستكملًا لشروط الإمامة. ولم يثبت تاريخيًّا أنَّ المطرفيَّة نشروا مذهبهم بالسَّيف، أو تطلَّعوا للحكم.

وكان أحمد بن سليمان يعدُّ كفر المطرفيَّة أعظم مِن كفر اليهود والنَّصارى، ويقول: «المطرفي الواحد ثلاثة عشر نصراني وثلث»[٢١]. وهذا حكم الإمام أحمد بن سليمان، في آخر كتابه «الهاشمة لأنف الضُّلال مِن مذاهب المطرفيَّة الجهَّال»: «فلهذا قلنا: إنَّهم قد خرجوا مِن جملة المسلمين، وفارقوا أهل ملَّة الإسلام، فلا تحلُّ مناكحتهم، ولا ذبائحهم، ولا رطوبتهم، ولا تقبل شهادتهم، ولا يجوز دفع الزَّكوات

(١٩) انظر: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، مرجع سابق: ص٣٩٨؛ والصراع الفكري في اليمن بين الزيدية والمطرفية: ص٤٣، بتصرف.

(٢٠) يقصد بالبطنين نسل الإمامين الحسن والحسين -رضي الله عنهما. وهو ما تميَّز به المذهب الزَّيدي عن غيره، في جعل الإمامة محصورة في سلالة الحسن والحسين دون غيرهم، ولكن دون تعيينهم كما فعل الاثنا عشريَّة.

(٢١) الدرة اليتيمة في تبيين أحكام السبي والغنيمة، عبدالله بن حمزة، وهو منشور ضمن كتاب: الصراع الفكري في اليمن بين الزيدية والمطرفية: ص٢٣٥.

إليهم، وغيرها مِن حقوق الله سبحانه، ولا إلى أحد مِنهم. ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين، ولا الصَّلاة على أحدٍ مِن موتاهم. ويحكم فيهم بأحكام الكفَّار»[٢٢].

وقد اعتبر عبدالله بن حمزة دار المطرفيَّة دار حرب، لا ذمَّة فيها ولا جوار؛ ورتَّب على ذلك: «جواز غزوهم ليلًا ونهارًا، وتحريقهم وتغريقهم، وسبي ذراريهم، وقتل مقاتلتهم غيلة وجهارًا»[٢٣].

ويذكر المؤرِّخون أنَّ ابن حمزة جرَّد السَّيف فيهم، حتَّى كاد يأتي على آخرهم، وسبى ذراريهم، وخرَّب مساجدهم، ودمَّر ديارهم، وعفا آثارهم، وطمس مذهبهم، فانقرضوا، حتَّى لا تكاد تلقى منهم عشرة أنفس، إلَّا في رؤوس الجبال الشَّواهق، بعد أن كانوا ألوفًا مؤلَّفة[٢٤].

بل أجاز الإجهاز على جريحهم، وقتل مدبرهم، والتَّمثيل بقتلاهم، رغم أنَّه لا يرى جواز فعل ذلك مع الحربيِّين[٢٥].

كما صرَّح بكفرهم بعض أئمَّة الزَّيديَّة، بل زعموا أنَّ كفرهم يزيد

(٢٢) الهاشمة لأنف الضلال من مذاهب المطرفية الجهال، أحمد بن سليمان، وهو ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن بين الزيدية والمطرفية: ص١١٢.
(٢٣) الفتاوى النبوية المفحصة عن أحكام المطرفية، مرجع سابق: ص٣١٩.
(٢٤) انظر: العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن، مرجع سابق: ج٣/١٢٠٦.
(٢٥) أجوبة مسائل تتضمن ذكر المطرفية وأحكامها، عبدالله بن حمزة، وهو منشور ضمن كتاب: الصراع الفكري في اليمن بين الزيدية والمطرفية: ص٢٠٤.

على كفر بعض الكافرين[٢٦]، وأنَّ ملَّتهم غير ملَّة الإسلام[٢٧]. مع أنَّ كثيرًا مِن علماء اليمن قرؤوا في أصول المطرفيَّة وعقائدها ولم يجدوا موجبًا لكفرهم؛ فكيف إذا أضيف إلى ذلك أنَّ المطرفيَّة أنفسهم تبرَّؤوا مِن كثير ممَّا نسبه إليهم خصومهم؟![٢٨]

وجاء أئمَّة الزَّيديَّة، بعد ابن سليمان وابن حمزة، بفقه تبريري لجرائم أسلافهم، وحاولوا جاهدين تصويبهم في جرائمهم في حقِّ أبناء جلدتهم مِن المطرفيَّة؛ ونقل بعضهم الإجماع على كفر المطرفيَّة، لتبرير حملات الإبادة الَّتي تعرَّضوا لها على يد أحمد بن سليمان وعبدالله بن حمزة[٢٩].

رغم بشاعة الحكم على المطرفيَّة عند أئمَّة الزَّيديَّة، وعلى رأسهم عبدالله بن حمزة، إلَّا أنَّ مِن المعاصرين -ممَّن ينتسب إلى الزَّيديَّة- مَن يؤيِّد ذلك ويراه عين الصَّواب. فالمرجع الزَّيدي بدر الدِّين الحوثي يقول، معلِّقًا على تكفير ابن حمزة للمطرفيَّة، وما ترتَّب عليه مِن إراقة

(٢٦) انظر: الرسالة الناطقة بضلال المطرفية الزنادقة، مرجع سابق: ص٢٧٥، ٢٨٢.
(٢٧) انظر: الرسالة الحاكمة بتحريم مناكحة الفرقة المطرفية الآثمة، عبدالله بن زيد العنسي، وهو منشور ضمن كتاب: الصراع الفكري في اليمن بين الزيدية والمطرفية: ص٣٠٩.
(٢٨) انظر: الصراع الفكري في اليمن بين الزيدية والمطرفية، مرجع سابق: ص٤٨.
(٢٩) انظر: مجموع السَّيد حميدان، حميدان بن يحيى القاسمي، تحقيق أحمد أحسن علي الحمزي وهاشم حسن هادي الحمزي، تقديم: مجد الدين المؤيدي، مركز تراث أهل البيت للدِّراسات الإسلامية، صعدة، ط١/٢٠٠٣م: ص١٠٨.

الدِّماء واستباحة الأعراض والأموال: «ما فعله الإمام عبدالله بن حمزة هو عين الصَّواب؛ لأنَّه إمام حقٌّ. واستنكار ذلك يقدح في إمام حقٍّ»[٣٠].

وفي سياق الصِّراع السِّياسي على الحكم داخل المنظومة الزَّيديَّة يأتي ما قام به عبدالله بن حمزة في الحكم على المؤرِّخ الزَّيدي، نشوان الحميري، والَّذي حاول الاقتراب مِن كرسي الحكم، وكان أهلًا له في كلِّ شيءٍ بشهادتهم، إلَّا أنَّه كان فاقدًا لشرط كونه مِن «البطنين». وكان لا يرى ضرورة أن يكون الإمام مِن «البطنين»، فكفَّروه لذلك، واستباحوا دمه[٣١].

وكان ردُّ عبدالله بن حمزة لتطلُّعه ذلك أن قال:

أمَّا الَّذي عند جدودي فيه

فيقطعون لِسْنَه مِن فيه

ويؤتِّمون ضحوة بنيه

إذ صار حقَّ الغير يدَّعيه[٣٢].

---

(٣٠) انظر: حوار عن المطرفية الفكر والمأساة، تأليف: زيد بن علي الوزير، بدر الدين الحوثي، محمد سالم عزان، سلسلة كتاب المسار، مركز التراث والبحوث اليمني، ط٢٠٠٢/١م.

(٣١) الحور العين، نشوان بن سعيد الحميري، تحقيق: كمال مصطفى، دار آزال للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت- لبنان، والمكتبة اليمنيَّة، صنعاء- اليمن، ط١٩٨٥/٢م: ص١٨٩، بتصرف.

(٣٢) انظر: المجموع المنصوري (مجموع رسائل الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة)، القسم الأوَّل، تحقيق: عبدالسلام الوجيه، مؤسَّسة الإمام زيد بن علي الثَّقافيَّة، صنعاء- اليمن: ج٦١١/١.

وبعد وفاة الإمام المهدي محمَّد بن المطهر (ت ٧٢٨هـ) خرج أربعة أئمَّة كلٌّ يدَّعي أنَّه الأحقُّ بالإمامة[٣٣]، وجرى بينهم صراع عليها.

وقام الإمام المنصور علي بن صلاح الدَّين (ت ٨٤٠هـ) بتدمير قرية «خمر»، في عام ٨٠٠هـ[٣٤]، ودخل عسكره جبل عيال يزيد، وخيوان، والسَّوْد، ونهبوا ما فيها؛ حتَّى قيل: إنَّه بسبب ذلك النَّهب استغنى المفلس والفقير مِن عسكره[٣٥]، وذلك لكثرة ما وقع في يدهم مِن مال.

وسار المطَّهر بن شرف الدَّين (ت ٩٨٠هـ)[٣٦] على ذات المنوال في استحلال دماء وأموال مخالفيه. ففي عام ٩٣٤هـ قَتَل مِن أهل خولان مائتي أسير كانوا لديه، بعد أن قطَّع أيديهم وأرجلهم مِن خلاف، وفيهم عدد كبير مِن الأحداث صغار السِّنِّ. وكانوا على مذهب الزَّيديَّة، لكنَّهم اختلفوا معه[٣٧].

(٣٣) انظر: مقدِّمة كتاب: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، لمحمد بن إسماعيل الكبسي، تقديم خالد أبا زيد الأذرعي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط١/١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م: ص١١.

(٣٤) خَمِر: مدينة مشهورة من بلاد حاشد شمال مدينة عمران بمسافة ٤٠كم. انظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، إبراهيم المقحفي، المؤسَّسة الجامعيَّة للطِّباعة والنَّشر، بيروت- لبنان، ودار الكلمة، صنعاء- اليمن، ٢٠٠٢هـ (بدون رقم طبعة): ج١/٥٨٨.

(٣٥) غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، مرجع سابق: ص٥٥٣.

(٣٦) هو: المطهَّر النَّاصر بن شرف الدَّين يحيى بن شمس الدَّين. كان جبَّارًا عنيدًا، تقاتل مع والده مِن أجل الإمامة، وكاد يفتك بأبيه، لولا تحالف والده مع الأتراك. توفِّي عام ٩٨٠هـ. انظر: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، مرجع سابق: ص٢٦٦.

(٣٧) انظر: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، مرجع سابق: ص٦٧٣.

ووصل الصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي ذروته داخل البيت الواحد، عندما قام شمس الدَّين بن شرف الدَّين[٣٨] بتحريض الأتراك على أخيه المطهَّر بن شرف الدَّين في عام ٩٥٥هـ[٣٩].

ودخل المؤيَّد محمَّد بن القاسم عام ١٠٤٨هـ في صراع مع ابن أخيه، أحمد بن الحسن بن القاسم، والَّذي خرج عليه عقب وفاة والده (الحسن بن القاسم)، وكان مِن أبرز القادة العسكريّين لأخيه المؤيَّد محمَّد. فقد طمع ابن أخيه أحمد بن الحسن بالسَّيطرة على ما كان تحت يد والده؛ ولمَّا لم يحصل على ذلك تمرَّد، وخرج على عمَّه المؤيَّد؛ وجرت بينهما حروب وصراعات انتهت بصلح، حتَّى أنَّه عند مرض موته لم يعده بعض إخوانه، بسبب الخصومة بينهم. وتصارعوا على الإمامة بعد موته. وكان ذلك الصِّراع بين المنصور أحمد، والمتوكِّل إسماعيل. وانتهى الصِّراع بانتصار المتوكِّل إسماعيل. ولم ينته الأمر عند هذا الحدِّ، فقد تطوَّر الخلاف بعد ذلك بين الإمام المعارض المنصور علي بن أحمد (أبو طالب) وعمِّه المتوكِّل إسماعيل، واشتعل الصِّراع بينهما، ونشبت الحرب والمواجهات. وبعد موت المتوكِّل ظهر أكثر مِن

(٣٨) هو: شمس الدِّين بن شرف الدِّين، أخو المطهَّر بن شرف الدِّين. دخل مع أخيه في صراع على الإمامة. ووقف إلى جانب الأتراك ضدَّ أخيه. لم أعثر له على ترجمة كافية. انظر: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، مرجع سابق: ص٧٠٤.

(٣٩) غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، مرجع سابق: ص٧٠٤.

شخص مِن داخل الأسرة الزَّيديَّة يدَّعي الإمامة لنفسه، وفتحت حلقة جديدة مِن الصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي(٤٠).

وفي سنة ١١١٠هـ تجدَّد الصِّراع الأسرى بين الإمام المهدي محمَّد بن أحمد بن الحسن، وعمِّه حسين بن حسن بن القاسم، وجرى قتالٌ بينهما، وانتهى الأمر بالقبض على عمَّه، وإرساله مقيَّدًا إلى سجن حصن كوكبان؛ حيث أمضى به عشر سنوات خرج بعدها ليموت في صنعاء سنة ١١٢١هـ.

وفي عام ١٢٢٤هـ تولَّى الحكم المتوكِّل أحمد بن المنصور علي، ودخلت الزَّيديَّة في صراع متجدِّد بين أسرتين زيديَّتين هما: بيت القاسم، وبيت شرف الدِّين، واستمرَّ ذلك الصِّراع حتَّى عام ١٢٤٢هـ.

ووصل الحال بالصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي في آخر عهد الدَّولة القاسميَّة إلى أن يصل عدد الأئمَّة مِن الزَّيديَّة ومِن غيرهم إلى ثمانية، أو تسعة، مِن الأئمَّة المتعارضين(٤١).

وفي عهد الإمام يحيى بن محمد حميد الدِّين حدث الصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي في صورة معارضة قويَّة لحكمه؛ ممَّا دفعه لقتل علماء الزَّيديَّة

(٤٠) انظر: خيوط الظَّلام (عصر الإمامة الزَّيديَّة في اليمن: ٢٨٤هـ- ١٣٨٢هـ)، عبدالفتَّاح البتول، مركز نشوان الحميري للدِّراسات والنَّشر، صنعاء- اليمن، ط١/٢٠٠٧م: ص٢٢٥.
(٤١) انظر: التاريخ العام لليمن (التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي منذ بداية تاريخ اليمن القديم وحتى العصر الراهن)، محمد بن يحيى الحداد، وزارة الثقافة اليمنية، ٢٠١٠م- ١٤٣١هـ: ج١٧٢/٣.

المعارضين لحكمه، أمثال: شيخه وأستاذه القاضي محمد بن إسماعيل جغمان، وكذلك: القاضي إسماعيل الرَّدمي، والشَّيخ أحمد كحيل، والشَّيخ سعيد دودة. ودخل في حروب مع الحسن بن يحيى الضَّحياني (ت ١٣٤٣هـ)[٤٢].

ويقدِّم أحمد الشَّامي[٤٣] رواية مغايرة لهروب الأمير إبراهيم إلى عدن، وأنَّها لم تكن مناصرة لـ«الجمعيَّة اليمنيَّة الكبرى»، الَّتي كان يتزعَّمها الزُّبيري والنُّعمان؛ وإنَّما خوفًا على نفسه لأنَّه قاد مؤامرة انقلابيَّة على أبيه، الإمام يحيى، وعرضها على بعض إخوانه، لكنَّه فشل. وعندما خاف على نفسه هرب إلى عدن، وانضمَّ إلى المعارضين لأبيه[٤٤]. مع العلم بأنَّ أحمد الشَّامي كان مِن المقرَّبين للإمام أحمد، وأحد المخلصين له، وكان معارضًا لحركة الأحرار في «الجمعيَّة اليمنيَّة الكبرى». وقد أرسله ولي العهد، أحمد بن يحيى بن حميد الدِّين، لإقناع الأمير إبراهيم بالعودة مِن عدن، ويضمن له السَّلامة مِن أخيه. كما أنَّه

(٤٢) انظر: هجر العلم ومعاقله في اليمن، إسماعيل بن علي الأكوع، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، بيروت ودمشق، ط١/١٩٩٥م: ص١٣٢.

(٤٣) هو: شاعر ومؤرّخ، ولد عام ١٩٢٤م، وشارك في ثورة ١٩٤٨م، ضدَّ الإمام، لكنه وقف مع الإمام أحمد في ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م. عيّن بعد المصالحة بين الملكيّين والجمهوريّين سفيرا للجمهوريَّة اليمنيَّة في عدد مِن الدُّول. وهو مؤلِّف كتاب "رياح التَّغيير في اليمن". توفِّي عام ٢٠٠٥م.

(٤٤) انظر: رياح التَّغيير في اليمن، أحمد بن محمَّد الشَّامي، الجيل الجديد، صنعاء- اليمن، ط٢/٢٠٠٩م: ص٢١٠، وما بعدها.

-الأمير إبراهيم- كان يرى أنَّ الإمامة حتَّى لو كانت بالشُّورى بعد الإمام يحيى، أو بعد أحمد، فلا بدَّ أن تكون وفق شروط المذهب الزَّيدي[٤٥].

كما دخل بيت حميد الدِّين، بعد ثورة ١٩٤٨م، في صراع مع بيت الوزير؛ بسبب مشاركة عبدالله بن علي الوزير في الثَّورة الدُّستوريَّة، واتِّفاقه مع الأحرار على أن يكون إمامًا دستوريًّا؛ علمًا بأنَّ البعض يرى أنَّ عبدالله الوزير قام بخداع الثُّوَّار، واستخدمهم في تلبية طموحاته الشَّخصيَّة، وترتيبات الصِّراع الزَّيدي؛ حيث سبق له الاتِّفاق مع «سيف الإسلام»[٤٦] حسين بن الإمام يحيى، وعلي حمود شرف الدِّين، على أن يكون الإمام بعد وفاة الإمام يحيى وفاة طبيعيَّة، فتمَّ له ما أراد. ثمَّ دخل في صراع مع ولي العهد أحمد، والَّذي تمكَّن مِن القبض عليه، وقتله في حجَّة، ونقل رأسه إلى صنعاء، معلِّقًا إيَّاه على باب وزارة الصِّحَّة؛ لإرهاب النَّاس[٤٧].

استمرَّ الصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي في عهد الإمام أحمد؛ حيث كان جميع إخوانه -باستثناء الأمير علي- غير راضين عن تولِّيه الإمامة بعد أبيه[٤٨]؛ رغم أنَّ الأمير علي كان ماجنًا غارقًا في السُّكر؛ إلاَّ أنَّه كان

(٤٥) بحسب رواية الشَّامي نفسه في "رياح التَّغيير"، انظر: رياح التغيير في اليمن، مرجع سابق: ص٢٠٩، ٢١٣، ٢١٥، ٤٨٧.
(٤٦) وصف كان يطلق على أبناء الإمام يحيى.
(٤٧) خيوط الظلام، مرجع سابق: ص٣٦٥.
(٤٨) انظر: رياح التغيير في اليمن، مرجع سابق: ص٢٠٩.

معارضًا لأبيه، ليس ثورة على مظالمه، بل حرصًا مِنه على أن يكون إمامًا بعد أبيه. كما أنَّ أخاه يحيى بن يحيى مات مسمومًا في ظروف غامضة[٤٩].

وعندما جعل الإمام أحمد ولاية العهد لولده البدر عام ١٩٥٤م، أثار ذلك حفيظة إخوانه، وعلى رأسهم «سيف الإسلام» عبدالله بن الإمام يحيى، وأخوه العبَّاس، وأبناء إخوتهم، كعبدالله بن الحسن، والحسن بن علي، ويحيى بن الحسين، وبعض فقهاء الزَّيديَّة؛ فعارضوه، خاصَّة الأمير الحسن بن الإمام يحيى، والَّذي حظي بتشجيع بعض الأسر الزَّيديَّة، فحاول الإمام أحمد قطع الطَّريق على معارضتهم، فعيَّن البدر وليًّا للعهد، وقبلها قام بتسميم أخيه «سيف الإسلام» إبراهيم في حجَّة داخل السِّجن، بعد فشل ثورة عام ١٩٤٨[٥٠]؛ كما أنَّ أخاه «سيف الإسلام» يحيى بن يحيى مات مسمومًا أيضًا. كما قام الإمام أحمد بسجن أخويه إسماعيل وعلي في حجَّة. وأعلن الحسن بن الإمام يحيى معارضته لولاية العهد، فقام الإمام أحمد بتكليفه ببعض المؤتمرات الخارجيَّة كوسيلة لنفيه خارج حلبة الصِّراع.

في عام ١٩٥٥م قام يحيى الثَّلايا بمحاصرة قصر الإمام أحمد في تعز، وإجباره على التَّنازل بالإمامة لأخيه عبدالله، ورئيس حكومته العباس بن

(٤٩) انظر: اليمن الجمهوري، عبدالله البردوني، دار الأندلس للطِّباعة والنَّشر، ط٥/١٩٩٧م: ص٢١٠، ٣٤٩.
(٥٠) انظر: رياح التغيير في اليمن، مرجع سابق: ص ٣٣٦، ٤١٤، ٤٨٦، ٥٠١.

الإمام يحيى، واللَّذين استطاعا إقناع كبار أسرة بيت حميد الدِّين، والبيت المتوكّلي، والقاسمي، بضرورة عزل أحمد؛ بسبب مرضه، وقسوته على المعارضين له ممَّن شارك في أحداث عام ١٩٤٨م ضدَّ أبيه. وبعد خمسة أيَّام مِن ثورتهم تمكَّن الإمام أحمد مِن القبض عليهما وإيداعهما سجن حجَّة، ومِن ثمَّ إعدامهما مِن غير شفقة ولا رحمة(٥١).

وقد أجمل الشَّاعر والمؤرّخ اليمني، عبدالله البردوني، خلاصة هذا الصِّراع بقوله: «فقلَّما وصل إمام إلى العرش على ظهر المبايعة وحدها، وقلَّما نزل إمام غير قتل في حرب»(٥٢).

هذه أبرز محطَّات الصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي منذ قيام الدَّولة الزَّيديَّة عام ٢٨٦هـ/٨٩٩م وحتَّى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م، وكانت أبرز ملامحها ما يلي:

أوَّلًا: لم يكن الصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي في هذه المرحلة صراعًا فقهيًّا ولا عقائديًّا في حقيقته؛ بل كان صراعًا سياسيًّا على السُّلطة والحكم.

ثانيًا: أخذ الصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي طابعًا دينيًّا في بعض مراحله؛ كغطاء للمصالح والمطامع المتقاطعة، سواء بين الأفراد أو بين الأسر والعوائل الهاشميَّة الآخذة بنظريَّة الإمامة على المذهب الزَّيدي.

(٥١) انظر: اليمن الجمهوري، مرجع سابق: ص٣٥١ وما بعدها؛ ورياح التغيير في اليمن، مرجع سابق: ص٥٣٦، ٥٧٣.
(٥٢) اليمن الجمهوري، مرجع سابق: ص٣٨٤.

ثالثًا: مع مرور الزَّمن تلاشى الصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي ذو الطَّابع الدِّيني، وبدأ يظهر بدلًا عنه الصِّراع السِّياسي الواضح الممزوج على استحياء بشروط الإمامة والاحتساب وفق أصول المذهب الزَّيدي.

رابعًا: مِن أبرز سمات الصِّراع في هذه المرحلة أنَّه كان صراعًا أسريًّا في غالب أحواله، داخل البيت الزَّيدي الواحد.

خامسًا: في آخر جولات الصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي، في مرحلة ما قبل الثَّورة، كان الصِّراع أسريًّا خالصًا بعيدًا عن لغة الخطاب الدِّيني.

النِّزاع والصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي خلال الفترة (١٩٦٢م- ٢٠١٠م):

بعد نجاح ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م، توحَّدت الأسر الزَّيديَّة تحت راية الإمام البدر، ونائبه، عمُّه الحسن، ووزير خارجيَّتهما، أحمد بن محمَّد الشَّامي. حيث قاموا بتشكيل مجلس للإمامة، برئاسة الأمير محمَّد بن الحسن بن الإمام يحيى.[٥٣] إلاَّ أنَّ هذا الوفاق لم يدم طويلًا، حيث عاد الصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي في هذه الحقبة ليأخذ أشكالًا ومظاهر أخرى، لعلَّ أبرزها:

(٥٣) انظر: التاريخ العام لليمن، محمد الحداد، المجلد الثالث: ص١٨٩، ٢٤٧؛ وخيوط الظلام، عبدالفتاح البتول، مرجع سابق: ص٣٩٢.

أوّلًا: الخلاف في الموقف مِن الجمهوريَّة بعد فشل حصار السَّبعين عام ١٩٦٧م: حيث تظاهر بالولاء للجمهوريَّة بعض المنتسبين للزَّيديَّة؛ ليس حبًّا في الجمهوريَّة، بل لعودة الإمامة بلباس جمهوري، أو تحقيقًا لبعض المكاسب والمناصب؛ فيما وقف بيت حميد الدِّين في صفِّ معارضة الجمهوريَّة، كونهم الخاسر الأكبر بزوال النِّظام الإمامي.

ثانيًا: تحوُّل الصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي في هذه المرحلة مِن الصِّراع المسلَّح إلى صراع المصالح والمكاسب والمواقف: ذلك أنَّ الحقبة السَّابقة كان السَّبب الرَّئيس فيها للخلاف هو «الصِّراع على السُّلطة»؛ فكان الصِّراع يأخذ طابع السُّلطة والمعارضة البينيَّة؛ لكن بعد الثَّورة تحوَّل الصِّراع ليأخذ طابعًا فكريًّا ومصلحيًّا.

ثالثًا: الصِّراع الحزبي العلني: وكان هذا مِن مظاهر الصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي في هذه الحقبة، خاصَّة بعد قيام الوحدة اليمنيَّة عام ١٩٩٠م، وخروج التَّيَّارات الزَّيديَّة مِن كهوف العمل السَّري إلى العمل الحزبي والجماهيري المنظَّم. وقد برز الخلاف الزَّيدي- الزَّيدي في هذه المرحلة مِن خلال بروز أكثر مِن حزب سياسي زيدي. فقد مثَّل «حزب الحقِّ»[٥٤]

(٥٤) هو حزب سياسي يمني، تأسَّس عام ١٩٩٠م، مِن قبل علماء المذهب الزَّيدي. تقدَّم للتَّسجيل في لجنة شئون الأحزاب في ٢٥ ديسمبر ١٩٩٥م، وحصل على قرار التَّسجيل مِن لجنة شئون الأحزاب في ١٥ سبتمبر ١٩٩٦م. شارك في الانتخابات النِّيابيَّة الأولى عام ١٩٩٣م وحصل على مقعدين، كانا مِن نصيب حسين بن بدر الدِّين الحوثي، وعبدالله عيضة الرُّزامي،

المظلَّة الكبرى، والواجهة الحزبيَّة العريضة لكثير مِن الشَّخصيَّات السِّياسيَّة والمرجعيَّات الدِّينيَّة والقبليَّة الزَّيديَّة، بزعامة كلٍّ مِن: مجد الدِّين المؤيدي -رئيس الهيئة العليا لحزب الحقِّ، ونائبه بدر الدِّين الحوثي، وأحمد محمَّد الشَّامي -الأمين العام للحزب، وغيرهم مِن النُّخب الزَّيديَّة ذات الانتماء السُّلالي، الَّذي يحاول أن يتكيَّف مع الجمهوريَّة ذات الممارسة الإماميَّة؛ أو بمعنى آخر الرِّهان على صبغ الجمهوريَّة بصبغة إماميَّة بصورة عصريَّة؛ تؤدِّي في نهاية المطاف إلى عودة «الحقِّ الإلهي» المغتصب إلى أصحابه -بزعمهم. في المقابل، شكَّل بيت الوزير حزبًا خاصًّا بهم، هو: حزب «اتِّحاد القوى الشَّعبيَّة»[٥٥]، والَّذي تزعَّمه في الخارج إبراهيم بن علي الوزير، المقيم في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، وتزعَّمه في الدَّاخل الدُّكتور محمَّد الرباعي، والدُّكتور محمَّد بن عبدالملك المتوكِّل، الذي تولى منصب الأمين العام المساعد للحزب في العام ٢٠٠١م[٥٦].

وشارك في الانتخابات النِّيابيَّة الثَّانية عام ١٩٩٧م، ولم يحصل على أيِّ مقعد، وشارك في الانتخابات النِّيابيَّة الثَّالثة عام ٢٠٠٣م ولم يحصل على أيِّ مقعد.

(٥٥) هو حزب سياسي يمني، تقدَّم للتَّسجيل في لجنة شئون الأحزاب في ٢٧ فبراير ١٩٩٧م، وحصل على قرار التَّسجيل مِن لجنة شئون الأحزاب في ٢٤ يوليو ٢٠٠٠م. شارك في الانتخابات النيابيَّة الأولى عام ١٩٩٣م، ولم يحصل على أيِّ مقعد في مجلس النُّوَّاب. وقاطع الانتخابات النِّيابيَّة الثَّانية عام ١٩٩٧م. وشارك في الانتخابات النِّيابيَّة الثَّالثة عام ٢٠٠٣م، لكنَّه لم يحصل على أيِّ مقعد.

(٥٦) صاحب صحيفة البلاغ. انظر: التشيع في صعدة.. أفكار الشباب المؤمن في الميزان،

وكان بين الحزبين -«حزب الحقّ» وحزب «اتّحاد القوى الشَّعبيَّة»- خلافات ونزاعات حول العلاقة بالدَّولة، وصراعات حول المرجعيَّات والجبايات والمكاسب.

رابعاً: الصِّراع البيني داخل الحزب الواحد: وتجلَّى ذلك في الصِّراع الَّذي وقع بين مجد الدِّين المؤيدي وبدر الدِّين الحوثي حول رئاسة «حزب الحقّ» في بواكير تأسيسه، ويتضِّح مدى الخلاف مِن خلال رسالة حسين الحوثي لوالده، بتاريخ ١٩٩٠/١٢/١٩م، والَّتي يحرِّضه فيها على التَّمسُّك برئاسة الحزب(٥٧).

ولمَّا آلت الأمور إلى تشكيل الحزب وفق التَّركيبة السَّابقة الذِّكر، ومع خسارة حسين الحوثي لدائرته الانتخابيَّة، اتَّسعت رقعة الخلاف بين بدر الدِّين الحوثي وأولاده و«الشَّباب المؤمن» مِن جهة، وبين القيادات الكلاسيكيَّة لـ«حزب الحقّ» مِن جهة أخرى؛ حيث كانت تشكيلة الرِّئاسة للحزب تمثِّل التَّيَّار الجارودي الكلاسيكي المحافظ؛ في حين مثَّل «الشَّباب المؤمن» الواجهة الفكريَّة بقياداته الشَّبابيَّة المدعومة معنويًّا مِن بدر الدِّين الحوثي، وماديًّا مِن رأس النِّظام السَّابق، علي عبدالله صالح، ومِن قبل السَّفارة الإيرانيَّة، والمنظَّمات الشِّيعيَّة في دول الخليج العربي.

عبدالرحمن المجاهد، (بدون دار نشر)، ط٢/٢٠١٢م.: ص٩٠.

(٥٧) التشيع في صعدة (أفكار الشباب المؤمن في الميزان)، عبدالرحمن المجاهد، وثيقة رقم (١٢): ص١٩٦.

وبعد صراع طويل بين «الشَّباب المؤمن»، بزعامة حسين بدر الدِّين الحوثي، ومحمَّد بدر الدِّين الحوثي، وعبدالكريم جدبان، ومحمَّد سالم عزَّان، وصالح هبرة، وعبدالله عيضة الرَّزامي، وغيرهم مِن قيادات «الشَّباب المؤمن»، آلت الأمور إلى استقالة جماعيَّة لـ«الشَّباب المؤمن» مِن «حزب الحقّ». فبعد أقلّ مِن شهرين مِن حصول «حزب الحقّ» على قرار التَّسجيل في لجنة الأحزاب، قامت قيادات «الشَّباب المؤمن» بتقديم استقالة جماعيَّة بتاريخ ١٩٩٦/١١/١٠م، مِن خلال عريضة رفعت إلى أمين عام الحزب أحمد الشَّامي، وصفوها بأنَّها عريضة تصحيحيَّة لمسار الحزب؛ في حين وصفتها القيادات الكلاسيكيَّة للحزب بالعريضة الانقلابيَّة(٥٨).

وفي إطار الصِّراع الدَّاخلي في المنظومة الزَّيديَّة لم يقف الأمر عند هذا الحدّ؛ فبعد اختلاف بدر الدِّين الحوثي مع القيادات الكلاسيكيَّة داخل «حزب الحقّ»، وتشجيعه لانفصال «الشَّباب المؤمن» عن الحزب، دخلت الأطراف الزَّيديَّة في صراع داخل منظومة «الشَّباب المؤمن» بين تيَّارين زيديّين:

الأوَّل: التَّيَّار السُّلالي: بزعامة بدر الدِّين الحوثي وأولاده، وعلى

(٥٨) راجع تفاصيل ذلك في كتاب: التَّشيع في صعدة.. أفكار الشَّباب المؤمن في الميزان، مرجع سابق: ص٩٠، وما بعدها.

رأسهم حسين ومحمَّد، ومَن معهما مِن القيادات الفكريَّة والميدانيَّة والرُّموز القبليَّة.

والثَّاني: التَّيَّار الزَّيدي القبلي: بزعامة محمَّد سالم عزَّان، الأمين العام لـ«الشَّباب المؤمن»، وعبدالكريم جدبان، وآخرين.

حيث كان الطَّرف الأوَّل يرى أنَّه صاحب الحقّ الإلهي المطلق في الزَّعامة؛ في حين يرى الطَّرف الثَّاني أن تنظيم «الشَّباب المؤمن» فكرة قامت على أكتافه وجهوده. هذا فضلًا عن النَّظرة الدُّونيَّة الَّتي كان يتعامل بها بدر الدِّين وأولاده مع التَّيَّار الزَّيدي القبلي، كونهم لا ينتمون إلى السُّلالة. وبموجب هذه النَّظرة فإنَّهم لا يستحقّون تولِّي المناصب القياديَّة في ظلِّ وجود أبناء السُّلالة، ولو لم يكونوا مؤهَّلين للقيادة.

كانت أسباب هذه الصِّراعات البينيَّة متعدِّدة؛ ولعل أبرزها الطُّموح غير المنضبط لدى قيادات «الشَّباب المؤمن»؛ وتجلَّى ذلك مِن خلال: علاقاتهم برأس النِّظام الحاكم -حينها؛ وكذلك علاقاتهم الخارجيَّة؛ سواء بالسَّفارة الإيرانيَّة، أو بالكيانات الشِّيعيَّة في كلٍّ مِن: لبنان، والعراق، ودول الخليج العربي. بالإضافة إلى توظيف النِّظام الحاكم -حينها- لهذا الطُّموح مِن خلال توسيع دائرة الخلاف، وتقوية طرف على طرف بحسب مصالحه. كما ساهم ظهور التَّيَّار القبلي الزَّيدي

الجارودي بشكل لافت مِن خلال شخصيَّات علميَّة وسياسيَّة استطاعت تجاوز عقدة النَّسب؛ لتتمتَّع بنفوذ خارجي داعم لأنشطتها وبرامجها، جعلها تسعى لتجاوز القيادات الكلاسيكيَّة.

خامسًا: عودة التَّوظيف السِّياسي للفتاوى الدِّينيَّة لتصفية الخلافات الزَّيديَّة البينيَّة:

وقد تجلَّى ذلك مِن خلال أكثر مِن فتوى؛ لعلَّ أبرزها الفتوى الَّتي أصدرها مجد الدِّين المؤيدي، ومجموعة مِن علماء الجارودِيَّة، في حقِّ قيادات «الشَّباب المؤمن»؛ أمثال: عبدالكريم جدبان، ومحمَّد سالم عزَّان؛ بسبب تدريس قيادات «الشَّباب المؤمن» لمقرَّرات دراسيَّة في المعهد العالي بصعدة، والمراكز الصَّيفيَّة خارج الإطار المتَّفق عليه بين الطَّرفين. وبعد الضَّغط الَّذي تعرَّض له هؤلاء أعلنوا توبتهم خطيًّا، وقرأوها على الملأ بين يدي مجد الدِّين المؤيدي، وأقرُّوا بمخالفاتهم بحسب ما طلب مِنهم التَّيَّار الجارودي. ثمَّ صدرت في حقِّهم فتوى عُرِفت بـ(فتوى البراءة)، اتَّهمهم الموقِّعون عليها بأنَّهم أكبر مَن يحرِّف المذهب الزَّيدي، ويخالف مناهجه؛ كما اتَّهموهم بتدريس كتب غير مقبولة -ولعلَّهم يشيرون إلى كتاب «الثَّورة الإيرانيَّة» الَّذي كان يدرَّس في المراكز الصَّيفيَّة والكتب الاثنا عشريَّة الَّتي كانت توزِّعها السَّفارة الإيرانيَّة داخل المراكز الصَّيفيَّة التَّابعة لـ«الشَّباب المؤمن». وقد مُهرت

فتوى البراءة مِن «الشَّباب المؤمن» بتوقيع مجد الدِّين المؤيدي، بتاريخ ١٤١٧/٣/٢هـ[٥٩].

ونظرًا لأنَّ الصِّراع برمَّته، في حقيقته، صراع مصالح ومكاسب ودوائر نفوذ، فإنَّ التَّيَّار القبلي خرج مهزومًا في هذه المرحلة؛ لكنَّه بعد الحرب الأولى الَّتي قادها حسين الحوثي، في عام ٢٠٠٤م، ضدَّ الدَّولة، حاول الاستفادة مِن حقبة الخلاف الدَّاخلي، وتنصَّل مِن الحوثيّين، وحاول كلٌّ مِن: عبدالكريم جدبان ومحمَّد عزَّان تبرئة «الشَّباب المؤمن» مِن الحرب؛ وزعموا أنَّ خلافهم مع مجد الدِّين المؤيدي كان بسبب انفتاحهم على الآخرين[٦٠]. وألصقوا بالحوثي وأبنائه لقب «جماعة الشِّعار»[٦١].

ومِن الفتاوى الدِّينيَّة الَّتي وظِّفت لتصفية الصِّراعات الدَّاخليَّة في المنظومة الزَّيديَّة ما قام به جماعة مِن علماء المذهب الزَّيدي، بتنسيق

(٥٩) راجع تفاصيل وثيقة التوبة ووثيقة البراءة في كتاب: التشيع في صعدة.. أفكار الشباب المؤمن في الميزان، مرجع سابق: ص١٦٦، وما بعدها.

(٦٠) في حقيقة الأمر كان سبب الخلاف تمرُّدهم على المنظومة الجارودِيَّة، وعلاقاتهم المفضوحة مع إيران والكيانات الشِّيعيَّة؛ بالإضافة إلى الخلاف بينهم وبين بدر الدِّين الحوثي في الموقف مِن صراع المطرفيَّة مع عبدالله بن حمزة، وتخطئة البعض لابن حمزة في موقفه مِنهم.

(٦١) ثمَّ استقرَّت التَّسمية الإعلاميَّة الشَّهيرة بالحوثيّين أو بجماعة الحوثي؛ الَّذين حاولوا الهروب مِن هذا اللَّقب محاكاة لـ"حزب الله"، فقاموا بتغيير المسمَّى إلى "أنصار الله" بعد دخولهم مؤتمر الحوار الوطني.

مع النِّظام الحاكم -حينها، بإصدار فتوى للبراءة مِن حسين الحوثي إبَّان الحروب السِّت، حيث أصدروا فتوى بالتَّحذير مِن ضلالاته وأتباعه، وأنَّ ما جاء به لا يمتُّ إلى المذهب الزَّيدي بصلة -بحسب الفتوى[٦٢]. مع العلم بأنَّ هذه الفتوى لا تحمل تاريخًا؛ الأمر الَّذي جعل بعض الباحثين يرى أنَّها كتبت بعد اندلاع الحرب الأولى، لحماية أنفسهم؛ وللحفاظ على مصالحهم المكتسبة مع النِّظام السَّابق[٦٣].

ومِن تلك الفتاوى أيضًا فتوى المرجع الزَّيدي محمَّد عبدالعظيم الحوثي[٦٤] في الحوثيّين، وأنَّ جهادهم أولى مِن جهاد اليهود والنَّصارى، واصفًا إيَّاهم بأنَّهم «مارقون عن الدِّين الإسلامي كلِّه، وعن المذاهب الإسلاميَّة»[٦٥]. وقد صدر عنه، عام ٢٠١١م، تسجيل صوتيٌّ، يشير

(٦٢) انظر: أضواء على حقيقة الفكر الحوثي، عبدالحميد مرشد، مطابع دار المجد، صنعاء-اليمن، ط٢/٢٠١٢م: ص١١٨، وما بعدها.

(٦٣) انظر: التشيع في صعدة (أفكار الشباب المؤمن في الميزان)، عبدالرحمن المجاهد، ص١٢٣، وثيقة رقم (١٨): ص٢٠٣.

(٦٤) يعدُّ مِن أبرز علماء المذهب الزَّيدي، ويتبع المرجع مجد الدِّين المؤيدي. ويلتقي بنسبه مع عبدالملك الحوثي في جدِّهم الحسين، الجد الثَّاني لمحمَّد بن عبدالعظيم بن الحسن بن الحسين الحوثي. وقد اشتهر بمعارضته لجماعة الحوثي منذ عام ٢٠٠٤م، بعد هدم منزله وطرده مِن منطقة ضحيان شمال صعدة، لرفضه خدمة مصالح إيران على حساب المذهب الزَّيدي.

(٦٥) كما جاء في حواره مع صحيفة "الأهالي" الأسبوعيَّة، انظر: محمد عبد العظيم الحوثي: الحوثيون مارقون وقتالهم أفضل من الصلاة ومن جهاد اليهود، أخبار اليوم، في: ٢٠١٠/١٢/٨م، متوفر على الرابط التالي:
https://akhbaralyom-ye.net/news_details.php?sid=33079

فيه إليهم بأنَّهم «حاولوا الهيمنة على الحكم، مستغلِّين المذهب الزَّيدي وهم غير مأمونين عليه»، واصفًا إيَّاهم بأنَّهم «فسَّاق وطغاة ومجرمين»، وأنَّهم «أعداء الله ورسوله»، لافتًا إلى أنَّ «العلماء اجتمعوا على ردَّتهم، وأنَّهم أخبث مِن اليهود وأنجس مِنهم»، مضيفا أنَّهم «مجوس هذه الأمَّة، لأنَّهم ضربوا الإسلام مِن الدَّاخل»، على حدَّ تعبيره.[٦٦]

لقد كان وراء النِّزاع والصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي، خلال الفترة (١٩٦٢م- ٢٠١٠م)، جملة مِن الأسباب والعوامل، لعلَّ أبرزها:

الصِّراعات التَّاريخيَّة بين الأسر الزَّيديَّة:

مِن خلال المحطَّات -الَّتي تمَّ استعراضها سابقًا- نجد أنَّ الصِّراعات الزَّيديَّة- الزَّيديَّة، سواء داخل الأسرة الواحدة، أو بين الأسر الحاكمة، بقي مستصحبًا عبر القرون؛ ولم يؤثِّر عامل الزَّمن في تجاهل آثاره ونتائجه، الَّتي كان مِنها بقاء رواسب ذلك الصِّراع في أبناء الأسر الزَّيديَّة ما بعد قيام الثَّورة والجمهوريَّة. ولم تستطع الأسر الزَّيديَّة تجاوز خلافاتها التَّاريخيَّة، وحروبها العسكريَّة، وثاراتها الماضية؛ فبقيت رواسب ذلك الصِّراع مستجلبة في حقبة ما بعد الثَّورة، وانعكست على

(٦٦) انظر: نشطاء يتداولون فيديو لعم الحوثي يهاجم جماعته ويكفرها، عربي٢١، في: ٢٠١٦/٢/٢٠م، متوفر على الرابط التالي:
https://shortest.link/2yXd

الصِّراع الفكري والسِّياسي. ولذا فإنَّ مقاومة النِّظام الوراثي الإمامي كانت غالبًا ما تتكوَّن وتنمو في بطانة الحكم الإمامي ذاته ثمَّ تنشقُّ عنه، وتتمرَّد عليه(٦٧).

الموقف مِن الثَّورة والموقف مِن المصالحة الوطنيَّة:

وهو خلاف شكلي في الآليَّات والوسائل؛ حيث لم تتقبَّل الأسرة الزَّيديَّة الحاكمة، بيت حميد الدِّين ومَن والاهم، فكرة التَّعايش مع النِّظام الجمهوري؛ فحدَّدوا لأنفسهم مسارًا معاديًا للجمهوريَّة. في حين حاولت بعض الأسر الزَّيديَّة وأصحاب المصالح التَّعايش المرحلي مع النِّظام الجمهوري بغية اختراقه، وتحقيق مكاسب شخصيَّة ومذهبيَّة على المدى الطَّويل، والاستفادة مِن المصالحة الوطنيَّة الَّتي وقعت بعد حصار السَّبعين. ومِن أمثالها غالبًا الأسر الَّتي انخرطت في وظائف الدَّولة والسُّلطة ثمَّ عادت لأحضان الإمامة مع بروز قوَّة الحوثي وسقوط صنعاء في يده، في ٢١ سبتمبر ٢٠١٤م.

دور النِّظام الحاكم في إذكاء الصِّراعات البينيَّة:

فقد ساهم النِّظام الحاكم، خاصَّة في حقبة التَّعدُّديَّة السِّياسيَّة بعد الوحدة اليمنيَّة، في إذكاء جذوة الصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي مِن خلال:

(٦٧) انظر: مقدمة كتاب: تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، المعروف بـ(تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري)، عبدالله بن علي الوزير، تحقيق: محمد عبدالرحيم جازم، تقديم: مركز الدراسات والبحوث اليمني، الجيل الجديد، صنعاء- اليمن: ص١٣، بتصرف.

الدَّعم المادي والمعنوي لقيادات «الشَّباب المؤمن» تارة، وللقيادات الكلاسيكيَّة تارة أخرى، ولـ«حزب الحقِّ» تارة ثالثة، واستعداء بعض الكيانات ضدَّ بعضها؛ بحسب مصالحه الشَّخصيَّة والسِّياسيَّة.

استقطاب بعض الشَّخصيَّات والرُّموز والمرجعيَّات، في حين راهنت تلك الشَّخصيَّات والكيانات على فشل هذا الاستقطاب، والتَّعامل معه كسلوك مرحلي، يستطيعون مِن خلاله: حماية أنفسهم، والحفاظ على مصالحهم، واختراق كيان النِّظام الحاكم لتحقيق أهداف الإمامة والعودة إلى النِّظام الإمامي بزيِّ الجمهوريَّة.

الدَّور الخارجي:

حيث ساهم الدَّعم الخارجي لبعض الكيانات الزَّيديَّة في توسيع هوَّة الخلاف بين فصائله. ففي حين كان يرى بعضهم ضرورة مدِّ خيوط التَّواصل مع إيران والكيانات الشِّيعيَّة في المنطقة بشكل منفتح، وبدون ضوابط أو قيود، لأنَّ الارتباط بالمشروع الإيراني سوف يعجِّل بعودة الحكم الزَّيدي، ولو بصبغة إيرانيَّة، كانت بعض القيادات الكلاسيكيَّة تتحفَّظ على هذه العلاقة، إمَّا بدوافع مذهبيَّة، أو بدوافع المصالح والنُّفوذ.

تضارب المصالح والنُّفوذ:

وهو مِن أهمِّ أسباب الصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي؛ ذلك أنَّ الأسر

الزَّيديَّة اعتادت العيش في كنف الإمامة الَّتي تقوم على الجبايات والإتاوات المفروضة على الشَّعب، والَّتي لا تعود بالنَّفع على الشَّعب مِن خلال: مشاريع البنى التَّحتيَّة، أو تطوير العمليَّة التَّعليميَّة، أو الارتقاء بالمستوى المعيشي للشَّعب، وإنَّما تعود لصالح مواقع النُّفوذ داخل منظومة الحكم الإمامي الزَّيدي.

وعندما فقدت هذه الأسر تلك الامتيازات بعد سقوط الإمامة، حاولت العودة إلى الواجهة مِن خلال الجمهوريَّة والتَّغلغل داخل مراكز القوى في الدَّولة، كالقضاء والأوقاف والجيش والشُّرطة وغيرها. هذا مِن جهة؛ ومِن جهة أخرى بعد فتح باب التَّعدُّديَّة السِّياسيَّة، وتشكيل الأحزاب والكيانات السِّياسيَّة، سارعت الكتل الزَّيديَّة -سواء الحزبيَّة مِنها أو العلميَّة أو القبليَّة- إلى وضع موطن قدم لها يحافظ على مصالحها المادِّيَّة، ويحقِّق لها بعض المكاسب الطَّائفيَّة، فتشكَّلت الأحزاب، والمعاهد الدِّينيَّة، والجمعيَّات الخيريَّة، والصُّحف والمجلَّات، والمكتبات، ومراكز الدِّراسات وتحقيق المخطوطات (متاجرة بها داخليًّا وخارجيًّا)؛ كما حاولت التَّسابق على كسب الولاءات لدى التُّجَّار والمزارعين، خاصَّة بعد صدور الفتاوى مِن قبل الحوثيِّين وبعض المرجعيَّات الزَّيديَّة بعدم جواز دفع الزَّكاة إلى الدَّولة، ودفعها إلى المرجعيَّات.[٦٨]

(٦٨) انظر: التشيع في صعدة (دراسة ميدانية)، عبدالرحمن المجاهد: ص٦٣.

هذه الأمور أدَّت بدورها إلى سباق محموم على هذه المصالح والجبايات، وتوظيفها بما يخدم مشاريعهم الخاصَّة، ومصالحهم الذَّاتيَّة، ودفع إلى اشتعال الصِّراعات البينيَّة، والتَّخوين المتبادل؛ كما حصل بين محمَّد عبدالعظيم الحوثي وأتباعه مِن جهة، وبين أتباع عبدالملك الحوثي مِن جهة أخرى، وكما حصل بين أحمد الشَّامي مِن جهة، وحسن زيد مِن جهة أخرى، بعد تعرُّض الشَّامي لضغوط سياسيَّة أجبرته على حلِّ «حزب الحقِّ».

هكذا نجد أنَّ أسباب النِّزاع والصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي، خلال الفترة ١٩٦٢م- ٢٠١٠م، توسَّع، وأخذ أشكالًا وصورًا عدَّة، وتوسَّع على المستوى السِّياسي والحزبي والحركي، وعلى نطاق الولاءات الدَّاخليَّة والخارجيَّة. وبالرَّغم مِن محاولات التَّيَّار الزَّيدي والأسر الهاشميَّة توحيد صفوفها، وجمع كلمتها، بعد الضَّربة الَّتي تلقَّتها مِن الثُّوَّار في ٢٦ سبتمبر، إلَّا أن بذور الخلافات والنِّزاعات الدَّاخلية حالت دون ذلك. غير أنَّ التَّطلُّع إلى السُّلطة كهدف وغاية تسعى لها جميع أطراف النِّزاع الزَّيدي الزَّيدي ظلَّ الجامع الأبرز بينها؛ لهذا كان تعزيز وجودهم في مفاصل الدَّولة وأجهزتها ومؤسَّساتها هو السِّمة الأبرز لهذه الفترة الممتدَّة لقرابة نصف قرن. هذا الاختراق الواسع والشَّامل للدَّولة هو ما استفادت مِنه جماعة الحوثي بعد وصولها إلى صنعاء، وإسقاطها لها في يد مليشيَّاتها المسلَّحة في ٢١ سبتمبر ٢٠١٤م.

المبحث الثاني:

الأبعاد والسِّياقات للنِّزاع والصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي خلال الفترة (١٩٦٢م- ٢٠١٠م):

لم تكن التَّفاعلات الدَّاخليَّة للبيئة اليمنيَّة منعزلة عمَّا يدور في محيطها العربي والإقليمي، خاصَّة مع ازدياد وسائل الاتصال والتَّواصل والانتقال والحركة خلال القرن العشرين تحديدًا. وهو ما جعل السِّياقات العربيَّة والإقليميَّة حاضرة في المشهد اليمني بظلالها السِّياسيَّة والفكريَّة.

وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ النِّزاع الزَّيدي الزَّيدي دخلته عوامل جديدة غير تلك العوامل التَّاريخيَّة الَّتي سبق تناولها؛ فقيام نظام جمهوري بمفاهيم عصريَّة، وتحقُّق الوحدة اليمنيَّة وفق دستور ديمقراطي يتيح العمل السِّياسي وفق رؤى تعدُّديَّة مختلفة، وبهامش واسع مِن الحرِّيَّات والحقوق، وانطلاق الثَّورة الإيرانيَّة وبدء تصديرها للمحيط العربي، وغيرها مِن الظُّروف والسِّياقات الَّتي سوف يتناولها هذا المبحث أثَّرت بطريقة أو بأخرى في طبيعة الخلافات الزَّيديَّة ومواقف الأطراف الزَّيديَّة مِن هذه القضايا ومدى الانحياز معها أو ضدَّها. ومِن هنا جاءت ضرورة عرض هذه السِّياقات وربطها بالنِّزاع الزَّيدي الزَّيدي.

قيام الجمهوريَّة.. الانعزال والانخراط:

سبق الإشارة إلى اختلاف موقف الكيانات الزَّيديَّة مِن قيام النِّظام الجمهوري وثباته، خاصَّة بعد فشل حصار السَّبعين، والدُّخول في مصالحة وطنيَّة مع مَن تبقَّى مِن رموز الحكم الإمامي في الدَّاخل؛ حيث تباينت المواقف مِن هذه المصالحة، ففي حين عارضته أسرة بيت حميد الدِّين، ومَن سلك مسلكها، ولجأت للخروج مِن اليمن، والعيش في الخارج، ليشكِّلوا لاحقًا مجلسًا للإمامة، برئاسة محمَّد بن الحسين بن يحيى حميد الدِّين، كونه أقوى مِن البدر على الصُّمود أمام الجمهوريّين، وأقدر على جمع شمل الأسرة والملكيّين في جبهة واحدة[٦٩]. في حين ركب موجة الثَّورة بعض السُّلاليّين، وقاموا بتشكيل «مجلس الحكماء» لآل البيت، أمثال: يحيى المتوكِّل، ويحيى الشَّامي، وغيرهما؛ وتجلَّى ذلك مِن خلال تعيين أحمد الشَّامي[٧٠]، والَّذي رأس الوفد الإمامي الملكي المفاوض لثمانية أعوام، منذ انطلاق الثَّورة في ١٩٦٢م وحتَّى عام ١٩٧٠م[٧١]، عضوًا في المجلس الجمهوري، بعد اتِّفاق الجمهوريّين والملكيّين عام ١٩٧٠م. حيث أسفرت الاتِّفاقيَّة عن إيقاف

(٦٩) انظر: التاريخ العام لليمن، مرجع سابق: ج٣/٢٤٧.
(٧٠) كان وزيرًا للخارجيَّة في حكومة الإمام البدر، ومِن أبرز الزُّعماء الملكيّين -على حدِّ تعبير محسن العيني؛ وهو مؤلِّف كتاب "رياح التَّغيير في اليمن".
(٧١) انظر: التاريخ العام لليمن، مرجع سابق: ج٣/٢٤٤، ٢٧٦، ٢٩٨.

حصار صنعاء، والاعتراف بالجمهوريَّة، مقابل دخول أحمد الشَّامي في المجلس الجمهوري، وتعيين بعض الملكيّين كحسين مرفق، ويحيى الصَّعدي، ومحمد الضَّحياني، وغيرهم، كوزراء ومسئولين في بعض المحافظات، بالإضافة إلى عشرة مِن مشايخ القبائل الموالين للإماميّين في «المجلس الوطني»[٧٢].

لقد عمل أحمد الشَّامي -بعد عودته إلى صنعاء- على إعادة ترتيب البيت الهاشمي الطَّائفي، وتنظيمه، فشكَّل (المجلس الأعلى لحكماء آل البيت) في عام ١٩٧١م. وضمَّت تشكيلة المجلس الأولى اثنا عشر عضوًا، يمثِّل كلُّ عضو مِنهم أسرة مِن الأسر الهاشميَّة الزَّيديَّة البارزة، أو ممثِّلًا عنها؛ وذلك برئاسة أحمد الشَّامي -نفسه. وكانت الغلبة في هذا المجلس للتَّيَّار الزَّيدي المحافظ؛ مع وجود نفوذ زيدي ليبرالي متمثِّلًا بالدُّكتور محمَّد عبدالملك المتوكِّل.[٧٣]

استطاع المجلس أن يحقِّق كثيرًا مِن الأهداف بصمت؛ فمِن سيطرته على الجهاز القضائي إلى اختراق مؤسَّستي الأمن والجيش،

(٧٢) انظر: خمسون عامًا في الرمال المتحركة، محسن العيني، دار الشروق، القاهرة- مصر، ط١/٢٠٠١م: ص ١٦٦، ٣٥٠.

(٧٣) ينظر في هذا الشَّأن مجموعة مقالات حول التنظيم السري للهاشمية السياسية، للدكتور رياض الغيلي، متوفرة على الشبكة الإلكترونية، وعلى صفحة الكاتب بفيسبوك:
https://www.facebook.com/profile.php?id=100063589593170

والتَّمكُّن مِن مفاصل حزب «المؤتمر الشَّعبي العام»، وصولًا إلى اختراق الرِّئاسة اليمنيَّة عقب حرب ١٩٩٤م.(٧٤)

ظلَّت رئاسة المجلس محتكرة في أسرة بيت الشَّامي، فبعد وفاة المؤسِّس عام ٢٠٠٥م، تسلَّم قيادة المجلس القاضي أحمد محمَّد الشَّامي، رئيس «حزب الحقّ»، وسرعان ما جرى الانقلاب عليه في عام ٢٠٠٧م، نتيجة فشله في قيادة المجلس، مِن قبل اللِّواء يحيى محمَّد الشَّامي، والَّذي تولَّى رئاسة المجلس إلى وفاته عام ٢٠٢١م.(٧٥)

غضب القاضي أحمد الشَّامي مِن طريقة إزاحته عن رئاسة المجلس، واستبعاده مِنه بشكل كامل، فقام كنتيجة عكسيَّة بإعلان حلِّ «حزب الحقّ» معتقدًا أنَّه سيرفع الغطاء السِّياسي عن المجلس؛ لكنَّ إعلانه قوبل بالرَّفض مِن قبل بقيَّة قيادات الحزب وقواعده، وسلِّمت أمانة الحزب لحسن زيد الَّذي ظلَّ يسعى للانضمام للمجلس منذ وقت مبكِّر(٧٦)، حتَّى بعد قيادته لـ«حزب الحقّ»، وإلى تاريخ مقتله الغامض والمريب، والَّذي رأى فيه بعض المراقبين حلقة ضمن التَّصفيات

(٧٤) المرجع السابق.

(٧٥) المرجع السابق.

(٧٦) انظر: الهاشمية السياسيَّة، الفصل الرَّابع (اللواء يحيى الشامي ثعلب الهاشمية السياسية)، رياض الغيلي، في: ٢٠١٨/٥/٢٣م، متوفر على صفحته بالفيسبوك:
https://m.facebook.com/AQYAAL

الدَّاخليَّة في المنظومة الزَّيديَّة؛ وهو ما أكَّدته ابنته الَّتي ذكرت أنَّها تلقَّت تهديدًا مِن قاتل أبيها الَّذي أفادها بأنَّه مَن نفَّذ حكم الإعدام في حقِّ والدها، واكتفت بذلك دون ذكر اسمه، مشيرة إلى أنَّه لا يزال حرًّا طليقًا، محمِّلة حكومة الحوثيّين المسئوليَّة عن ذلك(٧٧).

ساهم رموز «الهاشميَّة السِّياسيَّة»(٧٨) في تشكيل المشهد السِّياسي بعد الجمهوريَّة مِن خلال: تسلُّقهم في المناصب الرَّسميَّة. حيث عيّن اللِّواء يحيى المتوكِّل قائدًا للمنطقة الشَّماليَّة الغربيَّة، في الفترة ما بين ١٩٦٢م- ١٩٦٧م، وكان له دور بارز في إزاحة المشير عبدالله السَّلال عام ١٩٦٧م؛ حيث تمَّ تعيينه عضوًا في مجلس الدِّفاع، ومديرًا لمكتب القائد الأعلى للقوَّات المسلَّحة، كما تمَّ تعيينه مديرًا لمكتب رئيس الوزراء في عام ١٩٦٨م، ثمَّ رقِّي إلى نائب للقائد العام للقوَّات المسلَّحة حتَّى نهاية عام ١٩٧٠م، ثمَّ دفع به التَّنظيم السِّريُّ للهاشميَّة السِّياسيَّة(٧٩) للتَّرشُّح لرئاسة الجمهوريَّة عام ١٩٧٤م، بعد عزل

(٧٧) المشهد اليمني، في: ٢٠٢١/١٢/٢٥م، متوفر على الرابط التالي:
https://www.almashhad-alyemeni.com/222682

(٧٨) مصطلح بات دارجًا في الواقع اليمني بعد انقلاب ٢١ سبتمبر ٢٠١٤م، وبروز الأسر الهاشميَّة كمكوّن رئيس في حركة إمداد جماعة الحوثي والانخراط في مشروعها السِّياسي؛ وهو يشير إلى السَّلالة الهاشميَّة السَّاعية للسُّلطة انطلاقًا مِن الإيمان بـ"الحقِّ الإلهي" في الحكم.

(٧٩) انظر: الحوثية الثورية والهاشمية السياسية.. تحالف الحكم وصراع البقاء، رياض الغيلي، مركز أبعاد للدراسات والبحوث، في: ٢٠١٨/٢/٨م، متوفر على الرابط التالي:
https://abaadstudies.org/news-59726.html

القاضي عبدالرَّحمن بن يحيى الإرياني مِن رئاسة الجمهوريَّة؛ إلَّا أنَّ معارضة الشَّيخ عبدالله بن حسين الأحمر له حالت دون وصوله إلى سدَّة الحكم، إلَّا أنَّه بقي عضوًا في مجلس القيادة، ووزيرًا للدَّاخليَّة، ثمَّ عُيِّن سفيرًا لليمن في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة عام ١٩٨١م، ثمَّ سفيرًا في فرنسا عام ١٩٨٢م وحتَّى ١٩٨٤م، حيث عزَّز مِن خلالهما مِن نفوذ الهاشميَّة السِّياسيَّة(٨٠).

هكذا نجد أنَّ الزَّيديَّة انقسمت إلى تيَّارين: تيار الانعزال للنِّظام الجديد وتيَّار الانخراط الَّذي سعى جاهدًا لاختراق الصَّفِّ الجمهوري والتَّسلُّق إلى المناصب المفصليَّة في أجهزة الدَّولة ومراكز السُّلطة. وتمكَّن الفريق الثَّاني مِن تحقيق مكاسب عدَّة خلال تلك الحقبة مِن تاريخ الجمهوريَّة وهو ما بدت ثماره تظهر عقب قيام الوحدة اليمنيَّة في ٢٢ مايو ١٩٩٠م، وفق دستور يؤكِّد على التَّعدُّديَّة الحزبيَّة والعمليَّة الدِّيمقراطيَّة والحرِّيَّات العامَّة.

الوحدة اليمنيَّة.. البوتقة التَّقليديَّة والتَّحوُّر الحزبي والانعتاق الحركي:

ساهم قيام النِّظام الدِّيمقراطي على إثر الوحدة اليمنيَّة في خروج المنظومة الزَّيديَّة مِن النَّمط التَّقليدي، والعمل السِّرِّي، إلى تحوُّلهم إلى

(٨٠) انظر: الهاشمية السياسية، رياض الغيلي، مجموعة مقالات، يمن فويس، في: ٢٠٢٠/٩/٣م، بتصرف.

العمل الحزبي والنَّشاط العلني، وخوض غمار المنافسة مِن خلال الاتِّكاء على الإرث الإمامي التَّاريخي، والنَّشاط داخل الأسر الزَّيديَّة ذات الصِّبغة الطَّائفيَّة، فخرجوا بأكثر مِن صورة، وعملوا تحت أكثر مِن لافتة؛ فأسَّسوا الأحزاب، وفتحوا الجمعيَّات الخاصَّة بهم، ونشروا المراكز الصَّيفيَّة والمعاهد الدِّينيَّة، ذات الصِّبغة الطَّائفيَّة، وأنشأوا الصُّحف والمجلَّات ذات الطَّابع الحزبي، والطَّائفي، والشَّخصي.(٨١)

وهذا بدوره ساهم في عودة الحياة المذهبيَّة إلى الجسد الزَّيدي الخامل المنهك، والكيانات القابعة تحت مظلَّة التَّنظيمات السِّرِّيَّة، وبقدر ما خدمهم هذا العامل إلَّا أنَّه ساهم في فتح شهيَّة أرباب هذه الكيانات على توسيع دائرة النُّفوذ، والتَّنافس عليها، فتقاطعت المصالح -كما أسلفنا في المبحث السَّابق، وحصل الاختلاف والنِّزاع والصِّراع.

وقد ساعدهم على ذلك عدَّة أمور، أهمَّها:

الخبرة السِّياسيَّة التَّراكميَّة عند رموز الزَّيديَّة؛ خاصَّة الَّذين التصقوا بالجمهوريَّة، أو الَّذين درسوا خارج اليمن.

التَّيَّارات اللِّبراليَّة الزَّيديَّة؛ حيث كانت من أكبر المتحمِّسين للعمل الحزبي والنَّقابي.

(٨١) من أبرز هذه الصحف: (الشورى) صحيفة حزب اتحاد القوى الشعبية، و(الأمة) صحيفة حزب الحق، و(البلاغ) التابعة لإبراهيم الوزير.

اختراق منظومة الحزب الحاكم في أعلى سلَّم القيادة التَّنظيميَّة.

التَّجارب الحزبيَّة الشِّيعيَّة في البلدان العربيَّة، كالعراق ولبنان، حيث جرى توظيف تلك التَّجارب والاستفادة مِن خبراتها التَّنظيريَّة والعمليَّة؛ كلمهم سياسي للأحزاب الشيعية في اليمن.

تأييد الكيانات الشِّيعيَّة الخليجيَّة لتأسيس «حزب الحقِّ» ودعمه؛ حيث كانت بعض المرجعيَّات على صلة وثيقة ببدر الدِّين الحوثي ومجد الدِّين المؤيدي(٨٢).

كان «حزب الحقِّ» في هذه المرحلة هو الغطاء السِّياسي الَّذي يضمُّ في ثناياه المراجع الزَّيديَّة، ورؤوس الأسر الهاشميَّة المنتمية للمذهب الزَّيدي، بمختلف تشكُّلاتهم وتوجُّهاتهم الفكريَّة والثَّقافيَّة والمناطقيَّة (أي مِن مختلف المحافظات والأسر المحسوبة على المذهب الزَّيدي تاريخيًّا).

كان أوَّل خلاف شهده الحزب عقب تأسيسه في أوائل التَّسعينيَّات مِن القرن الماضي؛ وقد نشر الباحث عبدالرحمن المجاهد، في كتابه (التَّشيُّع في صعدة.. أفكار الشَّباب المؤمن في الميزان)، صورًا لمراسلات بين قيادات «الشَّباب المؤمن» وبين قيادات «حزب الحقِّ»، ركَّزت في مجملها على شروط «الشَّباب المؤمن» على قيادة الحزب. وكان مِن

(٨٢) انظر: التشيع في صعدة (دراسة ميدانية)، عبدالرحمن المجاهد: ص٦١.

أبرزها: إيقاف الفتاوى ضدَّ «الشَّباب المؤمن»، وتوقف الإرشاد الدِّيني الَّذي يقوده بعض مرجعيَّات الحزب وفق قناعاتهم الشَّخصيَّة (وكأنَّهم يشيرون إلى مجد الدِّين المؤيدي والمراكز التَّابعة له)، كما اشترطوا قيادة الحزب مِن قبل لجنة تنفيذيَّة إلى حين انعقاد مؤتمره العام. وكان مِن أبرز مَن اشترطهم «الشَّباب المؤمن» لهذه اللَّجنة: محسن صالح الحمزي، وعبدالله حسين المؤيدي، وعبدالكريم جدبان، وصالح هبرة، وأحمد شرف الدِّين، وحسن زيد، وحسين مجد الدِّين المؤيدي، وصالح الوجمان، وحسن قاسم حورية، وغيرهم؛ على أن يتوزَّعوا في لجان فرعيَّة لإدارة شئون الحزب، كما تتولَّى هذه اللَّجنة تعيين قيادات الفروع في المحافظات الَّتي يوجد فيها الحزب، وتعيّن لجنة للحوار مع الأحزاب الأخرى، كما تقوم بفتح حساب بنكي للحزب، وتوفِّر التَّكاليف اللَّازمة لعمل اللِّجان، وإصدار صحيفة باسم الحزب(٨٣).

ومِن خلال قراءة تلك الشُّروط يتبيَّن أنَّ «الشَّباب المؤمن» قاد عمليَّة انقلاب داخل الحزب، وأراد مِن القيادات الكلاسيكيَّة (جناح مجد الدِّين المؤيدي وأحمد الشَّامي) تعميد ذلك الانقلاب عليهم.

وكان مِن نتائج ذلك الصِّراع خروج واستقالة بيت بدر الدِّين الحوثي، ومعهم المئات مِن مؤيّديه ومناصريه، وقد ضمَّت عريضة

(٨٣) انظر: التشيع في صعدة (أفكار الشباب المؤمن في الميزان)، مرجع سابق، الوثيقة رقم (١٦: أ، ب): ص٢٠٠، ٢٠١.

الاستقالة كلًّا مِن: حسين بدر الدِّين الحوثي، وعبدالله عيضة الرَّزامي، ويحيى بدر الدِّين الحوثي، ومحسن صالح الحمزي، وعبدالله حسين المؤيَّد، ومحمَّد أحمد الحاكم، وعلي أحمد الرَّازحي، وعبدالكريم جدبان، وصالح هبرة، ومحمد بدر الدِّين الحوثي، ومحمَّد يحيى سالم عزَّان، وعبدالكريم أمير الدِّين الحوثي، وغيرهم(٨٤).

وكان للطُّموح غير المنضبط لدى قيادات «الشَّباب المؤمن»، النَّاتج عن توسُّع علاقاتهم الدَّاخليَّة والخارجيَّة، ولسياسة النِّظام الحاكم حينها في تفريخ الأحزاب والكيانات إلى كتل صغيرة يضمن ولاءها المطلق ويجنِّدها لتنفيذ أجندته للبقاء على رأس السُّلطة، دور في إذكاء هذا الصِّراع.

ثمَّ توسَّع الخلاف بعد ذلك بخروج عدد مِن المثقَّفين والسِّياسيِّين مِن الحزب، أمثال: محمَّد المقالح وزيد الذَّاري وآخرين. ثمَّ جاء خروج القاضي أحمد الشَّامي -الأمين العام الأسبق، والَّذي أعلن حلَّ الحزب وتصفيته. غير أنَّ الحزب استمرَّ بإعلان قيادة جديدة، إذ اختير حسن زيد أمينًا عامًّا للحزب، بالإضافة إلى وجود محمَّد مفتاح ويحيى الدَّيلمي ومحمَّد المنصور وغيرهم. وكان هدفهم إعادة بناء الحزب، وعقد مؤتمره العام الأوَّل(٨٥)؛ إلاَّ أنَّ هذه القيادة الجديدة أخفقت مِن جديد،

(٨٤) انظر: المرجع السَّابق، وثيقة رقم (١٧): ص٢٠٢.
(٨٥) لم يعقد الحزب مؤتمره العام منذ أكثر مِن عشرين عامًا.

وانشقَّ محمَّد مفتاح ويحيى الدَّيلمي ومعهما عدد مِن كوادر الحزب ليؤسِّسوا لاحقًا «حزب الأمَّة»[٨٦]، وبذلك تراجع «حزب الحقّ»، وأصبح على وشك الانهيار. ثمَّ جاء الانشقاق الَّذي قاده محمَّد المنصور وتسعة آخرون ضدَّ حسن زيد، مع مطلع عام ٢٠١٢م، حتَّى بلغ النِّزاع درجة الاتّهامات والاتّهامات المضادَّة، واحتلال مقرّ الحزب والحديث باسمه، وصدور نسختين مِن صحيفة «الأمَّة»، التَّابعة للحزب، وكلٌّ فريق يدَّعي أنَّه الكيان الشَّرعي والممثِّل الوحيد للحزب. وجاء الخلاف الأخير في الوقت الَّذي وقَّع بعض مراجع الزَّيديَّة والحوثيِّين على ما سُميَّ بـ«الوثيقة الفكريَّة والثَّقافيَّة»، باعتبارها إطارًا جامعًا للزَّيديَّة.[٨٧]

وقد شهدت فترة التِّسعينيَّات مِن القرن الماضي جدلًا في داخل الفضاء الزَّيدي حول مسألة الإمامة، وصلاحيَّتها للعصر الحديث، وحول إمكانيَّة تطبيقها أو تطويرها بما يتلاءم مع النِّظام الجمهوري والدِّيمقراطي.

---

(٨٦) أعلن عن تأسيسه أوائل شهر يناير عام ٢٠١٢م، في مدينة صنعاء، برئاسة يحيى الدَّيلمي، رئيس مجلس الشُّورى سابقًا في حزب الحقّ، وألقي في حفل الإشهار برقيَّة تهنئة مِن قبل زعيم جماعة الحوثي، عبدالملك الحوثي، مباركًا جهود المؤسِّسين ومتمنيًّا لهم التَّوفيق والسَّداد. لمزيد فائدة انظر: حزب سياسي جديد ممسوس بشيطان الخارج.. ميلاد حزب الأمة، تقرير، موقع المصدر أونلاين، في: ٢٠١٢/١/٥م، متوفر على الرابط التالي:
https://almasdaronline.com/article/27331

(٨٧) انظر: الاختلافات الزيدية والبحث عن الهوية.. حزب الحق أنموذجًا (١)، عبدالفتاح البتول، موقع مأرب برس، في: ٢٠١٢/٤/٢٣م، متوفر على الرابط التالي:
https://marebpress.net/articles.php?id=15230

حيث انقسم الوسط الزَّيدي في الموقف مِن نظام الحكم القائم والعمليَّة السِّياسيَّة والدِّيمقراطيَّة إلى عدَّة أجنحة: فمِنهم مَن ارتبط بالنِّظام الحاكم، وكان فيهم سياسيُّون وعسكريُّون وعلماء وإعلاميُّون؛ وفريق عارض سياسيًّا مِن خلال الأحزاب الشِّيعيَّة المعروفة؛ وفريق ثالث قاد معارضة مسلَّحة بقيادة حسين الحوثي ومَن معه. لكنَّ جميع هذه الأطياف تؤمن بنظريَّة «البطنين»، وبـ«الحقِّ الإلهي» في الحكم؛ غير أنَّ إعلانها عن مواقفها يختلف مِن فصيل إلى آخر. وعندما سأل الصَّحفي جمال عامر بدر الدِّين الحوثي عن موقفه مِن الإمامة، والنِّظام الجمهوري، والانتخابات، والدِّيمقراطيَّة، في حوار مع صحيفة الوسط اليمنيَّة، أجاب بأنَّه يتعامل معها كأمر واقع، وأنَّه يفضِّل نظام الإمامة الَّذي هو حقٌّ للبطنين، وأنَّ النِّظام القائم والخوض في عمليَّة الانتخابات والعمل السِّياسي تدخل ضمن نظرية الاحتساب عند الزَّيديَّة، والَّتي تنصُّ على جواز تولِّي الحكم لمن لم تتوفَّر فيه شروط الإمامة فيكون محتسبًا لا إمامًا[٨٨]. وهذه في الحقيقة حيدة وفرار مِن التَّصريح بعدم شرعيَّة النِّظام القائم.

ومِن وجهة نظر الباحث فإنَّ الخلاف في الموقف مِن النِّظام الجمهوري القائم أدَّى إلى صراع جديد بين ثلاث كتل زيديَّة:

(٨٨) انظر: صحيفة الوسط اليمنية، في: ٢٠١٠/١٢/٨م.

الأولى: زيديَّة صنعاء: هذه الكتلة كانت تميل إلى العمل السِّياسي الزَّيدي في إطار النِّظام الجمهوري مِن خلال التَّعايش معه ظاهريًّا، واختراقه أمنيًّا وعسكريًّا وسياسيًّا وإعلاميًّا، وتوظيف المناصب الَّتي يحصلون عليها في خدمة المذهب، وتوفير الغطاء الرَّسمي للأنشطة الزَّيديَّة بمختلف مسمياتها.

الثَّانية: اليسار الزَّيدي: وقد تمثَّل في الأحزاب السِّياسيَّة الزَّيديَّة، الَّتي تأرجح ولاؤها بين السُّلطة والمعارضة بحسب المصالح والأهداف المرسومة.

الثَّالثة: المقاتلون: ومثلهم تنظيم «الشَّباب المؤمن» وامتداده جماعة الحوثي، الَّذين فضَّلوا خطَّ المواجهة والخروج المسلَّح.

كان الجميع يتَّفق على عدم أحقيَّة الحاكم بالحكم؛ كونه خارج منظومة البطنين؛ لكن تباينت المواقف المعبِّرة عن هذه القناعات. وهذا بدوره أحدث صراعًا داخليًّا نتج عنه توظيف النِّظام السَّابق للكتلة الأولى (زيديَّة صنعاء)، واستطاع انتزاع فتوى مِنهم للبراءة مِن حسين الحوثي وأفكاره، وضلالاته[٨٩].

ثمَّ ظهر الصِّراع بين محمَّد عبدالعظيم الحوثي وعبدالملك الحوثي كصورة مِن صور الصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي على النُّفوذ والمصالح؛ حيث

(٨٩) انظر: صورة مِن الفتوى في كتاب: التَّشيع في صعدة (أفكار الشباب المؤمن في الميزان)، مرجع سابق: وثيقة رقم (١٨): ص٢٠٣.

اتَّهمهم بمحاولة الهيمنة على الحكم باستغلال المذهب الزَّيدي، وأنَّهم غير مؤهَّلين علميًّا، وليسوا أمناء عليه؛ كما اتَّهمهم بأنَّهم فساق، مجرمين، طغاة؛ وأنَّهم جهلة، وصغار سنٍّ، ويتَّهمون رجال الزَّيديَّة بالعجز والضَّعف؛ وذكر أنَّهم على علاقة مع علي عبدالله صالح، وأنَّهم كانوا يعترفون بشرعيَّته ويدعمهم؛ رغم أنَّه كان لا يعترف هو بشرعيَّته لأنَّه مِن خارج منظومة «البطنين» -على حدِّ تعبيره[٩٠].

ورغم اشتداد الخلاف بين هذه المكوِّنات الزَّيديَّة إلَّا أنَّ نظرية «البطنين» ظلَّت هي الحلقة الجامعة لهم. وقد تجلَّى ذلك مِن خلال الوثيقة الفكريَّة الَّتي صدرت، يوم ٢٠١٢/٢/١٣م، باسم المذهب الزَّيدي، والَّتي تنصُّ على نظريَّة «الاصطفاء الإلهي» وفق نظريَّة «أهل البيت» (بحسب ما جاء في الوثيقة). وقد مُهِرت بتوقيع عبدالملك الحوثي كممثِّل عن جناح المقاتلين، كما وقعَّها مِن جانب مَن يصفونهم بأنَّهم علماء الزَّيديَّة كلٌّ مِن: حسين يحيى الحوثي، وعبدالرَّحمن شايم، وحسين مجد الدِّين المؤيدي، وعلي بن علي مسعود، وحمود عبَّاس المؤيد (رغم أنَّه كان مِن الموقِّعين على وثيقة التَّخلِّي عن عقيدة الإمامة في المذهب عام ١٩٩٠م).[٩١]

(٩٠) انظر: موقع مندب برس، في: ٢٠١٨/٩/٣م
(https://mandabpress.com).

(٩١) إيران والحوثيُّون مراجع ومواجع، أحمد أمين الشجاع، مركز البحوث والدراسات- مجلة البيان، الرِّياض- السعودية، ط١/١٤٣٤هـ: ص١٣٦، وما بعدها.

وهذا التّناقض ليس غريبًا على رموز الزّيديّة؛ فلديهم قدرة للتّكيُّف حسبما تقتضيه مصالحهم المذهبيَّة، والصِّراعات البينيَّة؛ ذلك أنَّ «الوثيقة الفكريَّة» جاءت بعد ذهاب نظام صالح الَّذي استخرج مِنهم الفتاوى السَّابقة، وفي مرحلة هشاشة الدَّولة، وبواكير تمدُّد الحوثيِّين بعد استيلائهم على محافظة صعدة.

لم يقف الصِّراع البيني في هذه الحقبة عند هذا الحدِّ؛ بل استمرَّ بعد سيطرة الحوثيِّين على الدَّولة؛ وعاد الصِّراع إلى الواجهة بين المقاتلين الحوثيِّين القادمين مِن كهوف صعدة، وبين زيديَّة صنعاء «زيديَّة الطَّيرمانات» كما يحلو للحوثيِّين تسميتهم؛ حيث بدأ شعور القادمين مِن كهوف صعدة بأنَّهم الأولى بالمناصب والمكاسب؛ كونهم حصلوا عليها بالدِّماء والحروب؛ والضَّحايا الَّتي قدَّموها على امتداد الحروب السَّابقة؛ في حين يرى «زيديَّة الطَّيرمانات» أنَّ ما وصل إليه المقاتلون اليوم ما هو إلَّا ثمرة مِن ثمرات جهودهم السِّياسيَّة في اختراق النِّظام السَّابق، وتبنّي قضيَّة الحوثيِّين داخليًّا وخارجيًّا، والتَّمكين لمشروعهم مِن خلال مفاصل الحكم الَّتي سيطروا عليها، ومِن خلال اختراقهم لمؤسَّستي الأمن والجيش الَّتي سهَّلت لهم مهمَّة دخول صنعاء، بالإضافة إلى العوامل والمؤثِّرات الأخرى؛ الأمر الَّذي أدَّى بالجناح العسكري مِن الزَّيديَّة -مِن وجهة نظر البعض- إلى محاولة

التَّخلُّص مِن «زيديَّة الطَّيرمانات»، ورموز الهاشميَّة السِّياسيَّة؛ إذ أصبحوا يرون فيهم عبئًا يجب التَّخلُّص مِنه.

وبالفعل بدأوا مسيرة التَّخلُّص مِنهم سواء بالاغتيالات كما حدث مع الصَّحفي عبدالكريم الخيواني، ومحمَّد عبدالملك المتوكِّل، وأحمد شرف الدِّين، وعضو مجلس النُّوَّاب عبدالكريم جدبان، والقاضي يحيى موسى، والمرتضى زيد المحطوري، وقائمة طويلة ممَّن يسمِّيهم قادة المليشيَّات «زيديَّة الطَّيرمانات» ويسخرون مِن «تنظيراتهم الفارغة» الَّتي يعتقدون أنَّها لم تحقِّق لهم أيَّ مكاسب. مع خصوصيَّة أنَّ مرتضى زيد المحطوري ساهم في تخريج المئات مِن المقاتلين المعبَّئين فكريًّا؛ إلَّا أنَّه كان يرى أنَّ عبدالملك الحوثي غير مؤهَّل وفق اشتراطات المذهب الزَّيدي(٩٢).

والخلاصة أنَّ حقبة ما بعد التَّسعينيَّات قد شهدت مرحلة مِن أصعب مراحل الصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي الَّذي أخذ أكثر مِن شكل، وساهمت في تشكيله عوامل كثيرة، وتجاوز حدود الصِّراع الفكري إلى إصدار الفتاوى المذهبيَّة، والتَّوظيف السِّياسي؛ لكنَّها بالمقابل كانت حقبة ذهبيَّة لانغماس رموز المشروع السُّلالي في جسد اليمن

(٩٢) انظر: علي الفقيه، مقتل حسن زيد نتيجة طبيعية لاختلاف العصابة، المصدر أونلاين، في: ٢٠٢٠/٩/٢٧م، بتصرف، متوفر على الرابط التالي:
https://almasdaronline.com/articles/206208

الجمهوري، واختراق مؤسَّساته الأمنيَّة، والعسكريَّة، والسِّياسيَّة، والإعلاميَّة، وبتمثيل عالٍ جدًّا؛ ولعلَّ ذلك الصِّراع الَّذي كان يحصل إنَّما كان لغرضٍ مدروس، وإعدادٍ مسبق، وتبادل للأدوار؛ لصرف النَّظر عمَّا يدور في الكواليس مِن عمليَّة الحرث الطَّائفي على أرضيَّة اليمن الجمهوري؛ حتَّى يتخدَّر النِّظام القائم، وتغفل بقيَّة الأطراف السِّياسيَّة عن مآلات هذا الاختراق، وعواقبه المستقبليَّة.

الثَّورة الخمينيَّة في إيران واختراق الزَّيديَّة:

ساهم قيام الثَّورة الخمينيَّة في إيران عام (١٩٧٩م) في بعث المشروع الزَّيدي مِن جديد. فقد حاولت قيادة الثَّورة ضمن مشروعها التَّوسُّعي في المنطقة العربيَّة استيعاب الكيانات الزَّيديَّة، متجاوزة الخلاف العقدي التَّاريخي بين الاثنا عشريَّة والزَّيديَّة. فتعدَّدت صور الدَّعم العلمي والثَّقافي الإيراني في اليمن. ويمكننا تحديد ملامح ذلك الدَّعم في مراحله الأولى في: تقديم المنح الدِّراسيَّة بصورة مجانيَّة، لاستقطاب أبناء المذهب الزَّيدي، وضخ الآلاف مِن الكتب الاثنا عشريَّة الَّتي تتحدَّث عن العقائد والقضايا الخاصَّة بالمذهب الاثنا عشري، وتقديم كثير مِنها كهدايا توزَّع بالمجَّان، وتمرير الشِّعارات الإيرانيَّة كأحد ملامح الاستقطاب والتَّأثير.

كما بدأ الاستقطاب الإيراني لرموز الزَّيديَّة في وقت مبكِّر منذ عقد الثَّمانينيَّات مِن القرن الماضي، وأخذ أكثر مِن شكل. كما جرى التَّنسيق مع وزارة الأوقاف، ووزارة العدل، ووزارة الشَّباب والرِّياضة، وغيرها مِن الجهات الرَّسميَّة؛ حيث كانت تتوجَّه الوفود الرَّسميَّة اليمنيَّة لهذه الجهات، في عقد الثَّمانينيَّات إلى طهران، وهي تضمُّ مجموعة مِن العلماء أو القضاة أو الأئمة والخطباء، وكان غالبهم مِن التَّيَّار الزَّيدي، تحت مظلَّة دعوة رسميَّة.

أثمرت جهود الإيرانيِّين في استقطاب رموز زيديَّة إعلان بعضهم التَّحوُّل إلى المذهب الجعفري الإمامي الاثنا عشري؛ كما حدث مع إبراهيم بن محمَّد الوزير، والَّذي أعلن ابنه أسعد بن إبراهيم الوزير عن تحوُّله إلى المذهب الاثنا عشري، وقام بفتح بعض الحسينيَّات في بني حشيش، والخروج مِن عباءة المذهب الزَّيدي[٩٣] الذي اعتبره مركز الأبحاث العقدية الإيراني ضمن من يسميهم بـ (المستبصرين) وهم المتحولون من مذاهب أخرى إلى المذهب الشيعي الاثنى عشري[٩٤].

(٩٣) أخبرني القاضي محمد الوزير الوقشي عن استدعاء أسعد الوزير له، وعرضه عليه الانتماء للمذهب الاثنا عشري، والعمل في الحسينيَّات الَّتي أسَّسها في منطقة بني حشيش شمالي شرق مدينة صنعاء. (الباحث)

(٩٤) انظر:

https://www.aqaed.com/mostabser/39/

لم يكن عمل الإيرانيّين مع آل الوزير وحدهم؛ فبدر الدّين الحوثي بعد موقفه المؤيّد لعلي سالم البيض، في حرب الانفصال صيف ١٩٩٤م، هرب هو وأبناؤه إلى سوريا، ومِن ثمَّ إلى إيران. وقد جرى احتضانه، واستيعابه، وفق الرُّؤية الإيرانيَّة؛ رغم حفاظه على نزعته الزَّيديَّة الجاروديَّة. يقول المرجع الزَّيدي، د. مرتضى بن زيد المحطوري: «بدر الدِّين قعد في إيران، وحاولوا أن يجعفروه بكلِّ ما أوتوا مِن قوَّة، والرَّجل زيدي مِن رأسه إلى قدمه»[٩٥].

وشيئًا فشيئًا بدأ التَّمرُّد على المذهب الزَّيدي، وإعلان الانتماء للمذهب الجعفري الإمامي الاثنا عشري. وكانت المحطَّة الأولى لهؤلاء الذَّهاب إلى سوريا للدِّراسة أو السِّياحة، ثمَّ الانتقال إلى إيران بشكل دائم أو مؤقَّت. وقد ساهم نائب السَّفير الإيراني السَّابق، حسين نيروزي، في استقطاب هؤلاء وإقناعهم بالتَّحوُّل[٩٦].

تلقَّف الحوثيُّون الهبات الإيرانيَّة، فكانت مراكزهم العلميَّة تُدرِّس مادَّة تسمَّى (الثَّورة الإيرانيَّة)، في عقد الثَّمانينيَّات، عقب قيام الثَّورة الخمينيَّة عام ١٩٧٩م في إيران. وكان يدرِّس هذه المادَّة محمد بدر

(٩٥) انظر: المحطوري: لو كنت مكان حسين الحوثي لما سلمت رقبتي، موقع التغيير نت (نقلا عن حوار صحيفة الوسط معه)، في: ٢٠٠٧/٢/١م، متوفر على الرابط التالي:
https://www.al-tagheer.com/news803.html

(٩٦) انظر: التشيع في صعدة (أفكار الشباب المؤمن في الميزان)، مرجع سابق: ص٦٢.

الدّين الحوثي[٩٧]. كما انطلق الحوثيُّون في تطبيق الشِّعارات الإيرانيَّة بفتوى مُهرت بتوقيع المرجعيَّة الدّينيَّة لهم (بدر الدّين الحوثي)؛ إذ أفتى أنَّ ترديد الشِّعار مِن القربات، وأنَّ أعظم مكان للقيام بالقربات هو المساجد (وذلك في إجابته على سؤال خطِّي، قُدِّم له، بشأن ما يُسمَّى بـ«الصَّرخة»). وقد أثمر هذا التَّحوُّل استقالة جماعيَّة لـ«الشَّباب المؤمن» مِن «حزب الحقّ»، فور رجوع بدر الدّين وأولاده مِن إيران[٩٨]، وتشكيل بؤرة جديدة في الصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي.

وبدأ عدد مِن شباب الزَّيديَّة يعلنون تحوُّلهم إلى المذهب الاثنا عشري، أمثال: عصام بن علي العماد، الَّذي بات أحد أبرز المتحوّلين اليمنيّين، وحائز على لقب (آية الله)، رغم عدم استيفائه الشُّروط الحوزويَّة للحصول على هذا اللَّقب. وقد أصبح العماد رئيسًا لما يُعرف بـ«المجلس الشِّيعي الأعلى في اليمن». كما صرَّح أخوه حسن بن علي العماد بأنَّه شيعي جعفري[٩٩]. وأمثال: الشَّريف يحيى بن طالب، وأحمد

(٩٧) الحوثية في اليمن.. الأطماع المذهبية في ظل التحولات الدولية، مجموعة باحثين، مركز الجزيرة العربية للدراسات والبحوث بالتعاون مع المركز العربي للدراسات الإنسانية- القاهرة، ط١/٢٠٠٨م: ص١١١ وما بعدها؛ بتصرف.

(٩٨) انظر: المشروع الرافضي في اليمن، عبدالحميد مرشد، بحث محكَّم، مجلَّة جامعة الجوف للعلوم الاجتماعيَّة، المجلَّد الثَّالث، العدد الثَّاني، يوليو ٢٠١٧م: ص٦٣، وما بعدها.

(٩٩) التشيع في صعدة (دراسة ميدانية)، عبدالرحمن المجاهد: ج١/٤٨ وما بعدها.

عبدالله الزَّايدي[١٠٠]، ومبخوت هادي كرشان. وأصبح هؤلاء المتحوِّلون يعلنون أنَّهم على مذهب الجعفريَّة الاثنا عشريَّة، ويعتنقون معتقداتهم، ويمارسون طقوسهم الدينية في الحسينيات التي صرح أحدهم بأنها بلغت اثنا عشر حسينية في محافظة الجوف[١٠١]

لقد كانت حقبة التَّسعينيَّات هي بداية الوجود الاثنا عشري في اليمن، بسبب الانفتاح وضعف الرَّقابة على المطبوعات الوافدة[١٠٢]. وقد استخدمت إيران في صناعة المتحوِّلين وصياغتهم المرجعيَّات والدُّبلوماسيِّين والتُّجَّار. حيث كان الدُّبلوماسيُّون الإيرانيُّون يقومون بدور كبير في عملية التَّحويل المذهبي. وعلى رأس هؤلاء حسين نيروزي، نائب السَّفير الإيراني السَّابق في صنعاء، وكان قد التقى ببعضهم في سوريا. ولم تكتفِ إيران بذلك، بل أرسلت بعض المرجعيَّات الشِّيعيَّة إلى اليمن، وعلى رأسهم الشِّيعي الكويتي علي الحايري، والَّذي زار محافظة الجوف عام ١٩٩٨م.[١٠٣]

---

(١٠٠) التشيع في الجوف (دراسة ميدانية)، عبدالرحمن المجاهد، بحث غير منشور.

(١٠١) زعيم الشيعة الجعفرية في الجوف الملا مبخوت كرشان لدينا ١٢ حسينية في الجوف (حوار)، موقع يمرس، نقلا عن: شبكة البيضاء الإخبارية، في: ٢٠١٠/٥/١٤م، متوفر على الرابط التالي:

https://www.yemeress.com/albidapress/6610

(١٠٢) الحوثية في اليمن.. الأطماع المذهبية في ظل التحولات الدولية، مرجع سابق: ص١٠٠.

(١٠٣) التشيع في الجوف (دراسة ميدانية)، عبدالرحمن المجاهد، بحث غير منشور.

كما ساهمت رحلة بدر الدِّين وأولاده إلى إيران، عام ١٩٩٤م، في دعم الصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي في اليمن؛ فقد التقى بالمرجعيَّات الدِّينيَّة والسِّياسيَّة الاثنا عشريَّة، ثمَّ عاد بعد ستَّة أشهر ليؤلِّف كتيِّبًا صغيرًا بعنوان «الزَّيديَّة في اليمن»، وهو كتيِّبٌ يبيِّن فيه أصل زيديَّة اليمن وأصولها، والتَّقارب بينها وبين الإماميَّة الجعفريَّة؛ بل الاتِّفاق بينهم في الأصول المهمَّة[١٠٤].

ثمَّ تولى ابنه، حسين بدر الدِّين الحوثي، قيادة الحراك باتِّجاه الفكر الخميني والولاء لإيران، مهاجمًا علماء ومراجع الزَّيديَّة، ومقلِّلًا مِن ميراث الزَّيديَّة العقدي والفقهي؛ ما دفع علماء الزَّيديَّة في اليمن إلى إعلان براءتهم مِنه، ومن أفكاره وآرائه، وأتباعه، وذلك في بيانٍ عنونوه بـ: (بيان مِن علماء الزَّيديَّة). وفي البيان -الَّذي صدر في ٢١ يونيو ٢٠٠٢م[١٠٥]- ردُّوا عليه، وحذَّروا مِن «ضلالاته» الَّتي لا تمتُّ لأهل البيت والمذهب الزَّيدي بصلة، واصفين أقواله وآراءه بالبدع والضَّلالات وأنَّه لا يجوز الإصغاء لها وتأييدها، والرِّضا بها؛ آخذين عليه:

تحذيره مِن قراءة كتب أئمة العترة، وكتب علماء الأمَّة عمومًا، وعلى وجه الخصوص كتب أصول الدِّين وأصول الفقه.

(١٠٤) التشيع في صعدة (أفكار الشباب المؤمن في الميزان)، مرجع سابق: ص٦٦ وما بعدها.
(١٠٥) نشر البيان في صحيفة الأمَّة، النَّاطقة باسم "حزب الحقِّ"، الَّذي كان حسين الحوثي ووالده ينتسبون إليه قبل خروجهم عليه.

تضليله أئمَّة أهل البيت، مِن لدن أمير المؤمنين علي -عليه السَّلام، ومرورًا بأئمَّة أهل البيت إلى عصرنا هذا.

تهجمَّه على علماء الإسلام عمومًا، وعلى علماء الزَّيديَّة خصوصًا.

الأقوال المبطَّنة مِن الضَّلالات الَّتي تنافي الآيات القرآنيَّة الواردة بالثَّناء على أهل البيت المطهَّرين.

وكان مِن أبرز الموقِّعين على البيان: القاضي أحمد الشَّامي، الأمين العام الأسبق لحزب الحقّ، حمود عباس المؤيَّد، محمَّد بن محمَّد المنصور، صلاح بن أحمد فليته، حسن بن محمد زيد، وغيرهم.

انتشار المدّ الإسلامي السُّنِّي وردَّة الفعل الزَّيديَّة:

ساهم انتشار المدّ الإسلامي السُّنِّي في اليمن خلال حقبة الثَّمانينيَّات مِن القرن الماضي في تباين المواقف داخل منظومة الزَّيديَّة. حيث كانت الكيانات السُّنِّيَّة في اليمن في مرحلة تعايش وتوافق وتقارب مع رأس النِّظام الحاكم؛ فانتشرت المعاهد العلميَّة، والمراكز الشَّرعيَّة، ومدارس تحفيظ القرآن، وتمتَّع الخطاب الدِّيني السُّنِّي بهامش كبير مِن الحرِّيَّة.

ركَّز المدُّ الإسلامي السُّنِّي بمختلف مشاربه على القضيَّة المذهبيَّة، والسَّعي لمحاربتها، مِن خلال المناهج الدِّراسيَّة، والتَّعليم بشكل عام، وكذلك ضبط إيقاع الخطاب الدِّيني في المساجد، فتمكَّن مِن النَّحت مِن

المجتمع الزَّيدي الَّذي قابلت مناطقه المدَّ السُّنِّي بمواقف متباينة، بين مؤيّد ومعارض ومحايد؛ وهذا بحدِّ ذاته ساهم في توسيع دائرة الخلاف الزَّيدي- الزَّيدي، ففي حين رأى بعضهم أنَّ الزَّيديَّة صارت ضحيَّة لهذا الاستقطاب السُّنِّي، رأى آخرون أنَّ التَّعايش مع السُّنَّة بات ضرورة ملحَّة، وأنَّ الظُّروف السِّياسيَّة المحلِّيَّة والإقليميَّة غير مواتية لفتح جبهة مع المدِّ السُّنِّي، لأنَّ ذلك سوف يقضي على المكاسب الَّتي حقَّقها نظام الهاشميَّة السِّياسيَّة عبر سنوات مِن العمل الدَّؤوب والمبطَّن.

وقد جاء تأسيس منتدى «الشَّباب المؤمن» كردَّة فعل على النُّفوذ السُّنِّي المتصاعد في محافظة صعدة -بحسب تصريح أمينه العام المؤسِّس، محمد يحيى سالم عزَّان[١٠٦].

ورغم محاولات الكيانات السُّنِّيَّة الحثيثة لمدِّ جسور التَّواصل، وتفعيل مبدأ التَّعايش السِّلمي بين الزَّيديَّة وأهل السُّنَّة؛ إلَّا أنَّ غالب الكيانات الزَّيديَّة (أشخاصًا، ومؤسَّسات، وأحزابًا) كانت تمارس التُّقية مع المجتمع السُّنِّي، مِن خلال إظهار القبول بمبدأ التَّعايش؛ لكنَّها تبطن حقدًا دفينًا ناتجًا عن جذور هي في صميم المذهب في الموقف مِن الآخر؛ أو عن تبعية عمياء، أو تعبئة خاطئة.[١٠٧]

(١٠٦) كما جاء في حواره مع صحيفة الجمهور، في: ٢٠٠٩/٨/٢٣م. وانظر: إشكالية الفكر الزيدي في اليمن المعاصر (قراءة في القراءات السبع لتراث معتزلة العراق)، عبدالعزيز قائد المسعودي، مكتبة مدبولي، القاهرة- مصر، ٢٠٠٨م: ص٣١٦.

(١٠٧) للفائدة، ينظر: الصراع الزيدي السلفي لأنور بن قاسم الخضري، ضمن كتاب: شيعة

انتشار الأفكار القوميَّة والعلمانيَّة.. وتأثيرها في النَّزاعات الزَّيديَّة:

قامت التَّيَّارات القوميَّة، ذات التَّوجُّهات العلمانيَّة واللِّبراليَّة، في الأساس على مبدأ نقيض للدَّولة الدِّينيَّة، وتبعا لذلك كانت تحدِّد موقفًا معاديًا لأيِّ كيان ديني أو سياسي بمرجعيَّة دينيَّة. وبطبيعة الحال فقد استفادت تلك التَّيَّارات القوميَّة واليساريَّة مِن هامش الحرِّيَّة السِّياسيَّة المتاح في اليمن، متَّكئة على حقبتها الذَّهبيَّة إبَّان الحكم النَّاصري لمصر؛ وامتداد نفوذه إلى اليمن، ورعايته في مرحلة مِن مراحل الثَّورة للثُّوَّار ضدَّ الحكم الإمامي، كما شهدت تلك الحقبة عمليَّة استقطاب واسعة مِن كلِّ الأطياف.

كلُّ هذا ساهم في استقطاب بعض رموز الإمامة الجمهوريّين؛ أمثال: أحمد محمَّد الشَّامي، ويحيى محمَّد المتوكِّل، ود. محمَّد عبدالملك المتوكِّل، وغيرهم؛ حيث تأثَّر هؤلاء بالتَّيَّارات القوميَّة، ومزجوها بالبعد السُّلالي، والمذهبي، والموروث الإمامي، بعد أن ارتموا في أحضان الجمهوريَّة. وهذا بدوره أضعف مِن شعبيَّة المرجعيَّات الدِّينيَّة الزَّيديَّة؛ ممَّا أوجد خصومة لدى هؤلاء -معلنة أحيانًا، وغير معلنة في أحيان

اليمن، الكتاب (٣١) لمركز المسبار للدِّراسات والأبحاث، دبي- الإمارات، في يوليو ٢٠٠٩م، متوفر على الرابط التالي:
https://www.almesbar.net/31_%D8%B4%D9%8A%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%85%D9%86/

كثيرة- تجاه هذا التَّيَّار في مرحلة سابقة. وفي أحسن الأحوال اتَّسمت علاقة التَّيَّار الزَّيدي المنفتح على الأفكار القوميَّة واليساريَّة العلمانيَّة بالبرود مع المرجعيَّات الدِّينيَّة في ظلِّ السِّباق على توسيع دائرة النُّفوذ في أوساط المجتمع الزَّيدي.

مِن جهة أخرى ساهم التَّيَّار الزَّيدي المنفتح على الأفكار القوميَّة واليساريَّة العلمانيَّة، خاصَّة في مرحلة ما بعد الوحدة، في تشجيع المرجعيَّات والكيانات الزَّيديَّة على توسيع نفوذها، والحفاظ على هويَّتها المذهبيَّة نكاية بخصومها مِن الأحزاب والجماعات السُّنِّيَّة. وخير شاهد على ذلك أنَّ بعض المنتسبين مذهبيًّا إلى الزَّيديَّة انتموا إلى الأحزاب القوميَّة واليساريَّة، وتسنَّموا بعض المناصب القياديَّة فيها، لكنَّهم لم يتحرَّروا مِن النَّزعة الطَّائفيَّة المناقضة مع توجُّهات الأحزاب الَّتي انتموا إليها[١٠٨]. وهذا ما يفسِّر طبيعة التَّخادم بين هذه الأحزاب وجماعة الحوثي منذ ظهورها على المشهد العام في ٢٠٠٤م، وخلال فترة حروبها مع الدَّولة. ففي حين وقف الحوثيُّون مع علي سالم البيض فيه توجُّهه للانفصال عام ١٩٩٤م، فإنَّ الحزب الاشتراكي اليمني كان مِن أشدِّ الأحزاب نقدًا لمواجهة الدَّولة للجماعة عسكريًّا في صَعدَةَ، خلال الحروب السَّابقة لثورة ١١ فبراير ٢٠١١م. وهذا كان يظهر عبر بياناته وتصريحات قادته لوسائل الإعلام المحلِّيَّة والدُّوليَّة.

(١٠٨) التشيع في صعدة (دراسة ميدانية)، مرجع سابق: ص٥٦.

المبحث الثَّالث

النَّتائج والآثار الدَّاخليَّة والخارجيَّة للتَّنازع والصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي:

إنَّ أيَّ مجتمع مغلق يعيش عادة في نزاعاته الدَّاخليَّة وصراعاته البينيَّة متأثِّرًا بمحيطه الاجتماعي والسِّياسي، والمجتمع الزَّيدي في اليمن لم يكن استثناء مِن ذلك. وقد ظلَّ يحمل بذور نزاعه وصراعه لأكثر مِن ألف عام، ما بين مدٍّ وجزر، وخفوت واتِّقاد، حتَّى بلغت مستويات مِن القتل والعنف البشع -كما سبق وأسلفنا.

هذه الحالة الفكريَّة والاجتماعيَّة والسِّياسيَّة الَّتي أنتجها المذهب الزَّيدي، وحاملها الموضوعي «السُّلالة الهاشميَّة» المذهبيَّة، كان لها جملة مِن النَّتائج الفكريَّة، والحركيَّة، والسِّياسيَّة على صعيد الدَّاخل الزَّيدي، وعلى صعيد المجتمع اليمني عموماً.

ومن أبرز النَّتائج الدَّاخليَّة:

زوال دولة الزَّيديَّة وضعفها، على إثر كثرة الصِّراع على السُّلطة في داخلها. وهو ما كان يسهم في غلبة مخالفيها في بعض المراحل التَّاريخيَّة؛ كما أسهم أخيرًا في إسقاط دولة الإمامة في ستينيَّات القرن الماضي.

ظهور حملات التَّكفير والتَّكفير المضاد داخل المنظومة الزَّيديَّة؛ وقد بدا ذلك مِن خلال: الصِّراع الفكري بين مكوِّن محمَّد عبدالعظيم

الحوثي وجماعة الحوثي، وقبله صراع مجد الدّين المؤيدي مع تنظيم «الشَّباب المؤمن»، وفتاوى المحطوري وغيره ضدَّ الحوثيّين في مرحلة مِن مراحل الصِّراع.

في الجانب الحركي ساهم هذا النِّزاع في تفتُّت جبهة التَّيَّار الزَّيدي، وتوزُّعه على أحزاب وتنظيمات وكيانات مختلفة ومتصارعة؛ وفي تمرُّد بعض الكيانات كتنظيم «الشَّباب المؤمن» ذي الصِّبغة الإيرانيَّة، والمتحوِّلين إلى المذهب الاثنا عشري.

صبغ المجتمع الزَّيدي بالعنف كثقافة وسلوك، وإفراغ طاقته في الصِّراعات المسلَّحة والقتال. وهذا بدوره عزَّز ثقافة الثَّأر والقتل، وكرَّس وجود ظاهرة اليتامى والأرامل في المجتمع. لذا، لم يكن مِن الغريب تمكُّن حسين الحوثي مِن تشكيل مجموعة مسلَّحة وصل بها الحال إلى قتال محيطها الخاصِّ والعامِّ؛ ثمَّ ما لبثت أن تحوَّلت إلى مليشيا قتاليَّة متمرِّدة على الدَّولة، ومنقلبة في وقت لاحق على السُّلطة؛ لتعود دورة القتال مجدَّدًا في اليمن، بحمولتها الاجتماعيَّة مِن الأرامل واليتامى.

ظهور كُتَّاب ومفكِّرين ينقدون التُّراث الزَّيدي، ويحاولون تحميل بعض المرجعيَّات أخطاء وممارسات صدرت في حقِّ بعض الكيانات الزَّيديَّة كالمطرفيَّة. وهذا بدوره يعتبر عند الجناح الزَّيدي المحافظ مساسًا بالخطوط الحمراء، وتمرُّدًا على المذهب؛ رغم أنَّ دوافع بعض

هؤلاء كانت انتقاميَّة، وأحيانًا مادِّيَّة صرفة بعيدة عن التَّحقيق والأمانة العلميَّة، لأنَّ كثيرًا مِنهم رجع إلى أحضان الحوثي بمجرَّد أن سيطر على مفاصل الدَّولة، متجاهلًا حقبة الصِّراع الفكري بينهما.

تشكُّل مجتمع هشٍّ متعدِّد الولاءات ومتنوّع الاتِّجاهات؛ حتى أصبح عوام الزَّيديَّة مفرَّقين بين تيَّارات زيديَّة متصارعة، وتحوَّل بعضهم للعمل مع الأجندات الخارجيَّة سواء مع الأنظمة الأجنبية أو المنظَّمات الدُّوليَّة. لذلك، شهدت السَّاحة الزَّيديَّة حركة انتقال واسعة لشخصيَّات بين الأفكار والأحزاب والمذاهب، من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، والعكس.

وبقدر ما كان للصِّراع الزَّيدي مِن آثار داخل المجتمع الزَّيدي بمختلف أطيافه، فقد كانت له آثاره الفكريَّة والسِّياسيَّة والاجتماعيَّة على صعيد المجتمع المحيط. ومِن أبرز تلك الآثار والنَّتائج على محيطه الاجتماعي:

قبول بعض عوام الزَّيديَّة لمبدأ التَّعايش مع أبناء السُّنَّة؛ بعد أن فقدوا الثِّقة بهذه الكيانات الزَّيديَّة المتصارعة على المصالح الشَّخصيَّة والأسريَّة. إذ تحوَّلت البيئة الزَّيديَّة إلى بيئة عنف واقتتال وخصومة دائمة، ما جعلها بيئة طاردة. وهذا بدوره دفع للانفتاح الفكري والثَّقافي بل والاجتماعي على المحيط السُّنِّي في اليمن، وهو ما سمح بانتشار السُّنَّة في الجغرافيا الزَّيديَّة خلال فترة الثَّمانينيَّات والتِّسعينيَّات مِن القرن الماضي.

رغم سلبيَّة النِّزاع الزَّيدي- الزَّيدي داخليًّا، إلَّا أنَّه كان بمثابة المخدِّر الموضعي للأحزاب اليمنيَّة الجمهوريَّة عمومًا، وللأحزاب الإسلاميَّة على وجه الخصوص، والَّتي عاشت وهم إمكانيَّة التَّعايش مع فكر الزَّيديَّة السِّياسي. وقد مثَّل تكتُّل «أحزاب اللِّقاء المشترك»، والَّذي ضمَّ في صفوفه حزبين سياسيِّين زيديِّين، هما «حزب الحقِّ» الرَّاديكالي المحافظ، وحزب «اتِّحاد القوى الشَّعبيَّة» اللِّبرالي، خلال قرابة عقد كامل، نموذجًا لمحاولة التَّعايش الفاشل. فبرغم تمثيل هذين الحزبين في التَّكتُّل إلَّا أنَّ أدوارهم ومواقفهم الحزبيَّة كانت تصبُّ في خدمة التَّمكين المذهبي لأبناء التَّيَّار مِن منطلق سلالي أو مذهبي. ومع انقلاب جماعة الحوثي على الدَّولة خلعت هذه الأحزاب عباءة التُّقية، وجلباب العمل الحزبي المشترك، وعادت إلى جذورها المذهبيَّة، وأصولها الزَّيديَّة القائمة على نظريَّة «الحقِّ الإلهي» والتَّقسيم الطَّبقي والتَّمييز السُّلالي، واصطفَّت مع جماعة الحوثي، ووظَّفت نفوذها السِّياسي في خدمتهم.

الاختراق الإيراني للمجتمع الزَّيدي وإغرائه بالنَّموذج الخميني، واستخدامه في سبيل الأجندات الإيرانيَّة خصوصًا والشِّيعيَّة في المنطقة عمومًا؛ فتطلع فريق مِن الزَّيديَّة للوصول إلى السُّلطة ظلَّ هاجسًا طاغيًا وغاية يُبْذَل للوصول إليها كلُّ سبب. وممَّا يسند إلى أحمد محمَّد الشَّامي، أبيات تخاطب ملك المملكة العربيَّة السُّعوديَّة،

فيصل بن عبدالعزيز، يتوعَّد فيها بعودة الإمامة بأيِّ شكل، يقول فيها:

قل لفيصل والقصور العوالي إنَّنا نخـبة أبـاة أشـــاوس

سنعيد الإمامة والحكم يومًا بثياب النَّبيِّ أو ثوب ماركس

فإذا ما خابت الحجاز ونجدٌ فلنا إخـوة كـرام بفـــارس

هذا التَّطلُّع تحقَّق واقعًا في الصِّلات المبكِّرة للحالمين باستعادة حكم «الإمامة» بطهران عقب اندلاع ثورة الخميني وتمكُّنها مِن الإمساك بمقاليد الأمور بإيران؛ وفي ارتباط جماعة الحوثي بإيران لاحقًا، حتَّى باتت الدَّاعم الأبرز والرَّاعي الرَّئيس لهم.

المبحث الرَّابع:

القواعد والمراجع الحاكمة للتَّنازع الزَّيدي- الزَّيدي:

أوَّلًا: الثَّوابت والقواعد الفكرية:

لم يكن التَّنازع الزَّيدي- الزَّيدي مبنيًّا على غير قاعدة، أو خاليًا مِن الثَّوابت الفكريَّة، والَّتي ساهمت في صياغته وتشكيله. بل لقد حكمته عدَّة قواعد وثوابت فكريَّة، أبرزها:

القاعدة الأولى: الاصطفاء الإلهي:

ساهمت قاعدة «الاصطفاء الإلهي» في تشكيل صور التَّنازع الزَّيدي- الزَّيدي؛ حيث عاشت بعض الأسر والمرجعيَّات والكيانات الزَّيديَّة في القفص العاجي، والبرج العالي، تحت وهم «الحقِّ الإلهي في الحكم»، واحتكار السِّيادة المطلقة على الخلق؛ بحجَّة أنَّهم «أبناء فاطمة»، و«أحفاد الرَّسول»، و«السُّلالة الطَّاهرة»، و«الذُّريَّة المباركة».

وقد تمَّ تعزيز هذه القاعدة بجملة مِن الأحاديث الضَّعيفة والموضوعة؛ بالإضافة إلى الفهم التَّعسُّفي والخاطئ لبعض نصوص الوحي، والَّتي حاول أئمَّة الزَّيديَّة -عبر التَّاريخ- تفسيرها في غير سياقاتها التَّاريخيَّة، أو دون ربطها بأسباب النُّزول، أو عرضها على المقاصد والقواعد الكلِّيَّة للشَّريعة، بعيدًا عن فهمها في ضوء فهم السَّلف الصَّالح، بمَن فيهم الأئمَّة المحسوبون على «آل البيت».

وسواء جاء الاشتراط بوصف «العلويَّة» نسبة للإمام علي -رضي الله عنه، أو «الفاطميَّة» نسبة لفاطمة بنت الرَّسول -صلى الله عليه وسلم، أو «البطنين» نسبة إلى الحسن والحسين، فإنَّ المغزى هو إيجاد وصف «سلالي» يقوم على مبدأ النَّسب والتَّوارث الجيني، وإن مهر بغيره مِن الأوصاف المعنويَّة والحسيَّة الَّتي تأتي على ضفاف البعد العنصري، في حين لم يكن هو جوهر «الإمامة» في التَّاريخ السِّياسي الزَّيدي، إذ كان غالب مِن تولَّى الإمامة وادَّعاها فاقدين لبعض شروط الولاية الأخرى، وكان النَّسب هو المسألة الحاسمة.

و»تاريخيًّا جاء تبنِّي الحركة السِّياسيَّة الزَّيديَّة لشرط الفاطميَّة في بداية الأمر كردَّة فعل لما واجهته هذه الحركة مِن قمع، وذلك مِن قبل حكَّام الدَّولتين: الأمويَّة والعباسيَّة، ثمَّ استخدمت الحركة السِّياسيَّة الزَّيديَّة شرط الفاطميَّة باعتباره السَّلاح الفكري والسِّياسي لمواجهة مبدأ الوراثة الَّذي بموجبه، وعلى أساسه، استمدَّ حكَّام الدَّولتين الإسلاميَّتين -الأمويَّة والعباسيَّة- شرعيَّة حكمهم. وفي مرحلة تالية تحوَّل شرط الفاطميَّة مِن سلاح فكري وسياسي إلى عقيدة دينيَّة، تصل إلى مرتبة الاعتقاد والإيمان»، أي أنَّها باتت أصلًا مِن أصول الدِّين.[١٠٩]

(١٠٩) علي أحمد الحماطي، شرط الفاطمية والقرشية في الإمامة بين الزيدية والجماعات الإسلامية المعاصرة، مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية، العدد (٦٢)، أكتوبر ٢٠١٥م، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة: ص٤٥٣.

لقد لخصَّ أحمد وصفي زكريا تأثير نظريَّة «الاصطفاء الإلهي» على نهضة اليمن برمَّته؛ وذلك كخلاصة لزيارته إلى اليمن. فعند حديثه عن النِّظام الطَّبقي في اليمن، وتقسيماته، قال: «وكلُّ الأمارات والعمالات الرَّفيعة، والمقامات والوظائف الدَّارة في اليمن، هي للسَّادة بادئ ذي بدءٍ؛ مهما قلَّت معرفتهم وكفاءتهم. وكلُّ صدقات الفطر والهدايا، والنُّذور الدِّينيَّة في الأعياد والمواسم وغيرها مِن الأوقات تجبى لهم؛ مهما كثر مالهم، وسعد حالهم. فتأمَّل بعد هذه الوجاهة والسَّيطرة الرُّوحيَّتين الفائقتين كم يؤثِّر هؤلاء السَّادة في إنهاض الشَّعب اليماني البائس الَّذي ركبوا منكبيه، منذ أحد عشر قرنًا؛ لو تهيَّأت لهم شروط ذلك الإنهاض، مِن علم نافع، وشعور قوميٍّ، أو وطني»[١١٠].

ونظرًا لأنَّ مفهوم «الحقِّ الإلهي» قد يقتل أصحابه، فإنَّه ساهم في تصنيف وفرز داخلي بين منظومة الـ(آل) ذاتها، بحسب السِّياقات الزَّيديَّة الموروثة؛ فأصبحت السُّلالة سلالات، والطَّبقة طبقات، والحقُّ الإلهي تمَّ احتكاره في البطنين، ومِن ثمَّ داخل البطن الواحد، حتَّى صارت القضيَّة محتكرة في جينات النُّطف، دون اعتبار لخصائص وصفات تأهيل وكفاءة وصلاحيَّة؛ حتَّى تعدَّى على الولاية أشدُّ النَّاس جهلًا، وأكثرهم تعصُّبًا، وأسفكهم للدِّماء، وأجراؤهم على المال الحرام، وأخبثهم أثرًا في واقع النَّاس وفساد أحوالهم.

(١١٠) رحلتي إلى اليمن، أحمد وصفي زكريا، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط١/١٤٠٦هـ-١٩٨٦م: ص١٢٣.

لقد ارتدَّ قبح هذه الفلسفة العنصريَّة الاستكباريَّة على أهلها، فأصبحت الأسر السُّلاليَّة يحقِّر بعضها بعضًا، ويطعن بعضها في أنساب بعض. وربَّما جرَّت إلى دخول مَن ليس مِن السُّلالة إليها ادِّعاءً؛ بحثًا عن الامتيازات والمكاسب. وأدلَّة ذلك مِن الشَّواهد التَّاريخيَّة كثيرة ومتنوِّعة.

القاعدة الثَّانية: المصالح قبل المبادئ:

تجسَّدت هذه القاعدة عند الزَّيديَّة المتصارعين؛ وصرَّح بها بعضهم، فذكر أنَّه مستعدٌّ للتَّعامل مع «إبليس» طالما أنَّه سيضمن له مصالحه، ويحقِّق له مكاسبه.[١١١]

وقد حاولت المنظومة الزَّيديَّة السُّلاليَّة أن تستخدم طبقة الفقهاء والقبائل، ذوي الانتماء الزَّيدي في بعض المناصب، الأمر الَّذي جعل هذه الأسر لصيقة بنظام الإمامة وخادمة له، في حين أمِنت منظومة السُّلالة جانب هؤلاء، إلى حدِّ أنَّ بعض الأسر توارثت بعض الوزارات والمناصب في منظومة الحكم الزَّيدي كما يتوارث الأئمَّة العروش -بحسب توصيف البردوني[١١٢].

(١١١) مقابلة مع المرتضى المحطوري، اليقين أونلاين، في: ٢٠١٤/٩/٦م، متوفر على الرابط التالي: https://yaqeenonline.net/hwarat/583

(١١٢) انظر: اليمن الجمهوري، عبدالله البردوني: ص١٨٧.

وتحت قاعدة المصالح قبل المبادئ، تحالف فصيل مِن الزَّيديَّة مع إيران، وتخلَّى عن زيديَّته. وتحالف فصيل آخر مع النِّظام السَّابق[١١٣] الَّذي كان ظاهريًّا مِن ألدِّ خصومه، لتحقيق مصالحه الشَّخصيَّة مبطَّنة بخدمة المذهب والتَّمكين له. وتحالف فصيل ثالث مع مَن يسمِّيهم «الوهابيِّين» و«الرَّجعيِّين»، وارتمى بعضهم في أحضان الكيانات اليساريَّة، رغم علمه بموقفها مِن الدَّولة الدِّينيَّة ونظريَّة «الحقِّ الإلهي».

لقد كانت المصلحة هي الحاكمة في كثير مِن المواقف والسِّياسات، إلى حدٍّ يفوق الخيال؛ فمِن دائرة التَّكفير المتبادل، والتَّراشقات الإعلاميَّة، والتَّحريض الدَّاخلي، إلى إقامة التَّحالفات والتَّوقيع عليها في «الوثيقة الفكريَّة». ومِن إصدار الفتاوى في حقِّ الحوثي إلى التَّسليم له كمخلِّص وحيد. ومِن حرب النِّظام السَّابق إلى العمل في صفوفه. كلُّ ذلك كانت المصلحة تحكمه، وتضرب إيقاعاته في الوسط الزَّيدي المسكون بأمرين متناقضين: الحفاظ على المصالح، والبحث عن خصم، ولو مِن داخل الكيان.

(١١٣) كان الحوثيُّون -وزعيمهم حسين الحوثي- مدعومين مِن نظام الرَّئيس السَّابق، علي عبدالله صالح، الَّذي احتضنهم أواخر التِّسعينيَّات مِن القرن الماضي وأوائل الألفيَّة الثَّالثة، كحليف له ضدَّ القوى الإسلاميَّة الأخرى. وترشحوا عن المؤتمر في صعدة. وقبل ذلك أيَّد حسين الحوثي الحزب الاشتراكي اليمني في أزمة ١٩٩٣م، وحرب الانفصال ١٩٩٤م، إذ كانت العلاقة بين الطَّرفين أقوى مِنها مع نظام علي عبدالله صالح.

القاعدة الثَّالثة: التَّكيُّف مع الظُّروف، والانحناء للعاصفة:

وهي قاعدة انتهجتها الكيانات الزَّيديَّة في التَّعامل مع البيئة المحيطة، خاصَّة بعد الجمهوريَّة والوحدة، وبعد حرب الانفصال ١٩٩٤م، وبعد حروب الحوثي، وبعد انقلابه. وهذه القاعدة إحدى أسباب الصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي؛ فمع تباين الرُّؤى الزَّيديَّة حول حدود التَّكيُّف مع الظُّروف المخالفة، وقدر الإنحناء للعاصفة، تظهر الخلافات والنِّزاعات البينيَّة؛ لأنَّ بعضهم ينحني حدَّ الانكسار والانبطاح، حتَّى يتمَّ تجنيده وتوظيفه على خلاف مصالح المنظومة الزَّيديَّة، والبعض الآخر يتشدَّد في مواقفه إزاء ذلك حدَّ التَّطرُّف والغلو، وإن أبدى التُّقية.

ومع طغيان المطامع الشَّخصيَّة على رموز السُّلالة الباحثين عن النُّفوذ والمكاسب يصبح مِن الصَّعب التَّمييز بين التَّكيُّف لأجل مصالح المذهب والتَّكيُّف لأجل المصالح الذَّاتيَّة. وهذا ما كان يدفع للانقسام الدَّاخلي، بين فينة وأخرى، في صفوف المراجع الزَّيديَّة في الإطار الحزبي أو العمل ذو الطابع المدني أو ذو الطَّابع الدِّيني.

ثانيًا: المراجع المذهبيَّة والاجتماعيَّة:

ساهمت المراجع المذهبيَّة والاجتماعيَّة في بروز التَّنازع والصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي. ويمكن القول إنَّ المرجعيَّات الزَّيديَّة هي الموجِّه الأكبر

لهذا الصِّراع. ويرتبط ذلك بمدى العصبيَّة المذهبيَّة لديها، سواء مِن النَّاحية العقديَّة والفكريَّة، أو مِن النَّاحية الفقهيَّة والسُّلوكيَّة. فكلَّما كانت المرجعيَّة جارودِيَّة الميول، أو إيرانيَّة الفكر، زادت هوَّة الخلاف، وتوسَّعت دائرة الصِّراع في أوساط الزَّيديَّة؛ لأنَّ العقيدة الجارودِيَّة والفكر الإيراني طاردان للآخر، لا يؤمنان بالتَّعايش، ولا بالسِّلم المجتمعي، ولا يتركان مساحة لهامش الخلاف. والحال كذلك إذا كان هادويًّا متعصِّبًا؛ لأنَّ هؤلاء يرون أنَّ لديهم الصَّواب المطلق، لا مطلق الصَّواب؛ وهذا بدوره يؤثِّر على التَّعبئة الدَّاخليَّة للأتباع والمريدين؛ هذا مِن ناحية.

ومِن ناحية أخرى، ساهمت التَّركيبة الاجتماعيَّة للكيانات الزَّيديَّة في هذا النِّزاع. ذلك أنَّ الفكر الزَّيدي يقوم على الطَّبقيَّة الاجتماعيَّة، وأنَّ الشَّخص عندما يكون مِن الأسر البسيطة، وغير المرموقة، حتَّى لو كان نسبه سلاليًّا، ومهما كانت زيديَّته، أو قدراته العلميَّة، أو مهاراته الإداريَّة، أو ملكاته القياديَّة، فإنَّ كلَّ ذلك لا يؤهِّله للتَّصدُّر بحسب الفلسفة الاجتماعيَّة الزَّيديَّة الَّتي تقوم على التَّمايز، والَّتي كرَّستها الشَّخصيَّات الاجتماعيَّة والدِّينيَّة والفكريَّة مِن مختلف التَّوجُّهات الزَّيديَّة.

الخلاصة:

الصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي ظاهرة قديمة قدم المذهب الزَّيدي. وقد امتزج فيها البعد الطَّائفي، والمذهبي، بالصِّراعات السِّياسيَّة، والنِّزاعات الأسريَّة، والمصالح الشَّخصيَّة. وهذا بخلاف الصُّورة النَّمطيَّة الَّتي تحاول أن ترسم لنا شكلًا واحدًا، وقالبًا جامدًا يسوِّق الزَّيديَّة عبر التَّاريخ بالكيان الواحد الموحَّد، الّذي يتجاوز كلَّ خلافاته لتحقيق مشروعه الطَّائفي.

إنَّ مهمَّة النُّخب اليمنيَّة -اليوم- إبراز حقيقة هذا الصِّراع الزَّيدي الدَّاخلي للمجتمع، وللنُّخب السِّياسيَّة، ولصنَّاع القرار؛ لا حبًّا في الخلاف وتوسيع دائرة الصِّراع القائم، وإنَّما لإعادة قراءة الواقع الَّذي نعيشه اليوم وفق معطيات التَّاريخ.

إنَّ معرفة هذه الحقيقة والوقوف عليها كما هي، لا كما صوِّرت لدى العقل الجمعي، يساعد في إدارة الصِّراع القائم اليوم، والَّذي بدأت فيه جميع الأطراف الزَّيديَّة في صورة الموقف الواحد؛ لكنَّ الحقيقة أنَّ ثمَّة بركانًا مِن النِّزاع الدَّاخلي، وتنازع الصَّلاحيَّات، وتجاذب المصالح والمطامع، يسري في الجسد الزَّيدي كالسَّرطان الَّذي يقضي على خلايا الجسد المختلفة معه وأعضائه عضوًا.. عضوًا؛ مِن خلال عمليَّات الاغتيالات الخفيَّة، وحالات الوفاة الغامضة، والصِّراعات الدَّاميَّة المحدودة بين وقت وآخر.

إنَّ التَّنافس على الثَّروات، وعلى المناصب، يجري وفق أسس الصِّراع المدفونة بواقع الحرب الَّتي يشنونها ضدَّ أبناء اليمن والمحيط، ومع طول الأمد لن تظلَّ خفيَّة الملامح، وسوف تكون عاملًا في التَّآكل الدَّاخلي الَّذي سيمنح أبناء اليمن فرصة القضاء على هذا الانقلاب الدَّموي الَّذي قضى على أمن واستقرار اليمن، وبات يهدِّد وحدتها وسلامة مجتمعها مستقبلا.

نتائج البحث وتوصياته:

النَّتائج:

الصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي حقيقة تاريخيَّة ثابتة، تأسَّست مع دخول المذهب إلى اليمن، وامتدَّت إلى وقتنا الحاضر.

أخذ الصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي أكثر مِن شكل؛ فتارة يأخذ طابعًا دينيًّا، وتارة يأخذ طابعًا سياسيًّا، وتارة يكون أسريًّا، وتارة يكون مصلحيًّا (تبعا للمصالح الشَّخصيَّة).

الصِّراع على الحكم والمصالح المادِّيَّة يشكِّل شريان الصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي، ومعينه الَّذي لا ينضب.

استخدم التَّيَّار الزَّيدي الفتاوى الدِّينيَّة، والمرجعيَّات، والنِّظام الطَّبقي، والولاء القبلي، والانتماء الحزبي، وسائل لتصفية الحسابات الدَّاخليَّة، والانتقام مِن الخصوم.

ساهمت الثَّورة الخمينيَّة، والنِّظام السَّابق، ومجلس حكماء آل البيت، والأحزاب الشِّيعيَّة، والمرجعيَّات الشِّيعيَّة، في توسيع دائرة الخلاف الزَّيدي- الزَّيدي، وتنوُّع صوره.

أثبتت ظاهرة الصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي أنَّ المذهب لا يقبل التَّعايش إلَّا إذا كان حاكمًا مستأثرًا بالسُّلطة والثَّروة؛ خاصَّة مع المذاهب المخالفة؛ وفي حال خروجه مِن دائرة السُّلطة والثَّروة يلجأ إلى الفوضى واستخدام كافَّة الوسائل غير المشروعة لعودة ما يراه حقًّا إلهيًّا له مستلبًا مِنه، مِن وجهة نظره.

التَّوصيات:

قراءة ظاهرة الصِّراع الزَّيدي- الزَّيدي وفق السِّياقات التَّاريخيَّة له دون اجتزاء، وتقييمه في ظروفه الَّتي واكبته.

الحذر مِن إبقاء فلسفة «الحقِّ الإلهي في الحكم» للسُّلالة كبذرة في المناهج التعليميَّة أو المراجع العلميَّة أو المكتبات أو في الرَّسائل الإعلاميَّة، نظرًا لما لها مِن أثر سلبي على استمرار دوَّامة العنف والقتال سعيًا وراء السُّلطة واحتكارها والاستبداد بها.

إبراز التَّاريخ الدَّامي لفلسفة «الحقِّ الإلهي في الحكم» للسُّلالة للمجتمع الزَّيدي العامِّي وأثرها السَّلبي على استقراره وأمنه وسلامته، وعلاقته الودِّيَّة ببقيَّة مكوِّنات المجتمع المذهبيَّة الأخرى.

توظيف الخلافات والنَّزاعات الزَّيديَّة الدَّاخليَّة في مواجهة مشروع الانقلاب الحوثي بما يخدم القضيَّة الوطنيَّة الجامعة.

عدم الرُّكون لأي طرف زيدي يحمل بذور فلسفة «الحقّ الإلهي في الحكم» للسُّلالة في بناء وإدارة مؤسَّسات الدَّولة اليمنيَّة لأنَّه سيكون بمثابة لغم آخر ينفجر مع توفُّر الشُّروط الموضوعيَّة لعودة الإمامة مِن جديد.

فهرس المراجع والمصادر:

الكتب والمؤلَّفات:

إبراهيم المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، المؤسَّسة الجامعيَّة للطِّباعة والنَّشر، بيروت- لبنان، ودار الكلمة، صنعاء- اليمن، ٢٠٠٢هـ (بدون رقم طبعة).

أبو الحسن علي بن الحسن الخزرجي، العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن، وهو: طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن، تحقيق: عبدالله قائد العبادي وآخرون، الجيل الجديد ناشرون، صنعاء- اليمن، ط١، ٢٠٠٩م.

أحمد أمين الشجاع، إيران والحوثيُّون مراجع ومواجع، مركز البحوث والدراسات- مجلة البيان، الرِّياض- السعودية، ط١/١٤٣٤هـ

أحمد بن الحسين، مجموع رسائل الإمام الشهيد المهدي أحمد بن الحسين، تحقيق عبدالكريم جدبان، طباعة مكتبة التُّراث الإسلامي، صعدة- اليمن، ٢٠٠٣م.

أحمد بن محمَّد الشَّامي، رياح التَّغيير في اليمن، الجيل الجديد، صنعاء- اليمن، ط٢/٢٠٠٩م.

أحمد وصفي زكريا، رحلتي إلى اليمن، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط١/١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

إسماعيل بن علي الأكوع، هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، بيروت ودمشق، ط١/١٩٩٥م.

الحسين بن القاسم العياني، مجموع كتب ورسائل الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم العياني، تحقيق: إبراهيم الحمزي، عناية مجد الدِّين المؤيدي، مركز أهل البيت للدِّراسات الإسلاميَّة، صعدة، ط١/٢٠٠٤م.

الصاحب بن عباد، الزَّيديَّة، تحقيق د. ناجي حسن، الدار العربية للموسوعات، بيروت- لبنان، ط١/١٩٨٦م.

حسين بن أحمد العرشي، بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمَن تولَّى مُلك اليمن مِن ملك وإمام، تحقيق: الأب أنستاس ماري الكرملي، مكتبة الثَّقافة الدِّينيَّة، القاهرة.

حميدان بن يحيى القاسمي، مجموع السَّيد حميدان، تحقيق أحمد أحسن علي الحمزي وهاشم حسن هادي الحمزي، تقديم: مجد الدين المؤيدي، مركز تراث أهل البيت للدِّراسات الإسلامية، صعدة، ط١/٢٠٠٣م.

زيد بن علي الوزير، وبدر الدين الحوثي، ومحمد سالم عزان، حوار عن المطرفية الفكر والمأساة، سلسلة كتاب المسار، مركز التراث والبحوث اليمني، ط١/٢٠٠٢م.

عبدالحميد مرشد، أضواء على حقيقة الفكر الحوثي، مطابع دار المجد، صنعاء- اليمن، ط٢/٢٠١٢م.

عبدالرحمن المجاهد، التشيع في الجوف (دراسة ميدانية)، بحث غير منشور.

عبدالرحمن المجاهد، التشيع في صعدة.. أفكار الشباب المؤمن في الميزان، (بدون دار نشر)، ط٢/٢٠١٢م.

عبدالرحمن بن علي بن الدَّيبع، قرَّة العيون بأخبار اليمن الميمون، حقَّقه وعلَّق عليه: محمَّد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء- اليمن، ط١/٢٠٠٦م.

عبدالعزيز قائد المسعودي، إشكالية الفكر الزيدي في اليمن المعاصر (قراءة في القراءات السبع لتراث معتزلة العراق)، مكتبة مدبولي، القاهرة- مصر، ٢٠٠٨م.

عبدالغني محمود عبدالعاطي، الصراع الفكري في اليمن بين الزيدية والمطرفية.. دراسة ونصوص، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط١/٢٠٠٢م.

عبدالفتَّاح البتول، خيوط الظَّلام (عصر الإمامة الزَّيديَّة في اليمن: ٢٨٤هـ- ١٣٨٢هـ)، مركز نشوان الحميري للدِّراسات والنَّشر، صنعاء- اليمن، ط١/٢٠٠٧م.

عبدالله البردوني، اليمن الجمهوري، دار الأندلس للطِّباعة والنَّشر، ط٥/١٩٩٧م.

عبدالله بن حمزة، المجموع المنصوري (مجموع رسائل الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة)، تحقيق: عبدالسلام الوجيه، مؤسَّسة الإمام زيد بن علي الثَّقافيَّة، صنعاء- اليمن.

عبدالله بن علي الوزير، تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، المعروف بـ(تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري)، تحقيق: محمد عبدالرحيم جازم، تقديم: مركز الدراسات والبحوث اليمني، الجيل الجديد، صنعاء- اليمن.

عبدالملك بن حسين بن عبدالملك الشَّافعي العاصمي المكّي، سمط النُّجوم العوالي في أنباء الأوائل والتَّوالي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

عماد الدِّين إدريس بن علي الحمزي، تاريخ اليمن مِن كتاب كنز الأخبار في معرفة السِّير والأخبار، دراسة وتحقيق: عبدالمحسن مدعج المدعج، مؤسَّسة الشِّراع العربي، الكويت، ط١/١٩٩٢م.

مجموعة باحثين، الحوثية في اليمن.. الأطماع المذهبية في ظل

التحولات الدولية، مركز الجزيرة العربية للدراسات والبحوث بالتعاون مع المركز العربي للدراسات الإنسانية- القاهرة، ط١/٢٠٠٨م.

محسن العيني، خمسون عامًا في الرمال المتحركة، دار الشروق، القاهرة- مصر، ط١/٢٠٠١م.

محمد بن إسماعيل الكبسي، اللَّطائف السَّنيَّة في أخبار الممالك اليمنيَّة، تقديم: خالد أبا زيد الأذرعي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء- اليمن، ط١/٢٠٠٥م.

محمد بن يحيى الحداد، التاريخ العام لليمن (التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي منذ بداية تاريخ اليمن القديم وحتى العصر الراهن)، وزارة الثقافة اليمنية، ٢٠١٠م- ١٤٣١هـ.

محمد عبدالله عوض، نظرات في ملامح المذهب الزيدي وخصائصه، مكتبة أهل البيت، صعدة- اليمن، (بدون طبعة أو تاريخ).

محمد يحيى سالم عزان، قراءة في نظرية الإمامة عند الزيدية، مجلة المسار، العدد (٩)، في: ٢٠٠٢/٩/٦م.

نشوان بن سعيد الحميري، الحور العين، تحقيق: كمال مصطفى، دار آزال للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت- لبنان، والمكتبة اليمنيَّة، صنعاء- اليمن، ط٢/١٩٨٥م.

يحيى بن الحسين بن القاسم، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق وتقديم: سعيد مصطفى عاشور، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، دار الكاتب العربي للطِّباعة والنَّشر، القاهرة- مصر، ١٩٦٨م.

الأبحاث المحكَّمة والأوراق البحثيَّة:

أنور بن قاسم الخضري، الصراع الزيدي السلفي، ضمن كتاب: شيعة اليمن، الكتاب (٣١) لمركز المسبار للدِّراسات والأبحاث، دبي- الإمارات، في يوليو ٢٠٠٩م.

رياض الغيلي، الحوثية الثورية والهاشمية السياسية.. تحالف الحكم وصراع البقاء، مركز أبعاد للدراسات والبحوث، في: ٢٠١٨/٢/٨م.

عبدالحميد مرشد، المشروع الرافضي في اليمن، بحث محكَّم، مجلَّة جامعة الجوف للعلوم الاجتماعيَّة، المجلَّد الثَّالث، العدد الثَّاني، يوليو ٢٠١٧م.

علي أحمد الحماطي، شرط الفاطمية والقرشية في الإمامة بين الزيدية والجماعات الإسلامية المعاصرة، مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية، العدد (٦٢)، أكتوبر ٢٠١٥م، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

نورا معوض عباس، مسألة الخروج عند زيد بن على زين العابدين «الزَّيديَّة»: أسبابها وأنواعها في ضوء القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة، مجلة كلية التربية في العلوم الإنسانية والأدبية، جامعة عين شمس، مصر، المجلد (٢٦)، العدد (٣)، صيف ٢٠٢٠م.

الصُّحف:

الأهالي.
الوسط.
أخبار اليوم.
الجمهور.

المواقع الإلكترونيَّة:

التغيير نت.
المشهد اليمني.
المصدر أونلاين.
اليقين أونلاين.
عربي٢١.
مأرب برس.
مندب برس.
يمرس.
يمن فويس.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....